وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عمار ثليجي الأغواط

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

الواقع الثقافي للمرأة الجزائرية في ظل الإستعمار الفرنسي (1830 – 1954م)

مذكرة نهاية الدراسة لنيل ضهادة الماستر

تخصص : تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة :

– خولة فاطمة شبحة

إشراف الأستاذ :

– معمر جعيرن

السنة الدراسية 2016/2015

إهداء

إهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

إلى كل إمرأة ضحت في سبيل هذا الوطن ، إلى التي وهبت روحها فداءً لكرامته وسيادته ،

إلى من قاومت ، وناضلت ، وجاهدت ،

إلى الممرضة ، فالمسبلة

إلى التي حملت في أحشائها خلقا من بعد خلق ووربت فأنشأت أبطالا صنعوا أمجاد هذا الوطن

إلى التي ضحت بفلذات أكبادها ودوت زغاريدها أرجاء الوطن فخرا بشهدائنا الأبرار.

خولة فاطمة شبحة

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين على عظيم منته وكريم فضله و نعمه التي لا تحصى ولا تعد .
و الصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، نبينا ورسولنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد أتقدم بشكري الخالص:

إلى والدي الكريمين اللذين كانا خير عونٍ وسندٍ لي

وإلى الأستاذ المشرف معمر جعيرن الذي كانت ملاحظاته وتصويباته على مسودة الرسالة فرصة للاستفادة من علمه وتجاربه فله مني جزيل الشكر والتقدير.

دون أن أنسى فضل كافة الأساتذة الذين مهدوا لنا طريق الفلاح وفتحوا لنا أبواب النجاح ووجهونا إلى ما فيه الصلاح فلهم مني جزيل الشكر والاحترام على الجهود التي بذلوها من أجلنا.

والشكر لكل من ساهم في تشجيعي لإنجاز هذا العمل سواء من قريب أو من بعيد.

خولة فاطمة شبحة

قائمة الإختصارات

قائمة الإختصارات

التسمية الكاملة	اختصارها بالغة العربية	اختصارها بالغة الاجنبية
ترجمة	تر	
تعليق	تع	
تحقيق	تح	
تحت اشراف	إش	
(دون ناشر)	(د.ن)	(S.E)
(دون مكان النشر)	(د.م)	(s.l)
(دون تاريخ النشر)	(د.ت)	(s.d)
الجزء	ج	
مجلد	مج	
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع	[ش.و.ن.ت]	
الوكالة الوطنية للنشر و التوزيع	/	ANEP
المؤسسة الوطنية للكتاب	[م.و.ك]	
المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية	[موفم]	
المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954	[م.و.ب.ح.ث]	
وزارة المجاهدين	[و.م]	
ديوان المطبوعات الجامعية	[د.م.ج]	
مركز دراسات الوحدة العربية	[م.د.و.ع]	
المؤسسة العربية للدراسات والنشر	[م.ع.د.ن]	
الهيئة المصرية العامة للكتاب	[هـ.م.ع.ك]	
دار الغرب الاسلامي	[د.غ.إ]	
مكتبة النهضة المصرية	[م.ن.م]	
مركز البحوث الاجتماعية والاقتصادية	[م.ب.إج.إق]	

مقدمة

مقدمـــة

إذا كانت جرائم الاستعمار قضية سياسية بالأساس، فإنها أيضا قضية اجتماعية وثقافية ، لأنها تمس الإنسان في نفسه وثقافته ومحيطه ، فالمستعمِر يعرف أن الإنسان هو جوهر الحياة ومحورها والفاعل فيها ، لذا يعرِض الشعب المستعمَر لقدر كاف من المضايقات والاضطهاد، ليحرمه من حقه ووجوده ككائن حر في وطنه وبين ذويه ، وهذا ما فعله الاستعمار الفرنسي في الجزائر،فمنذ تمكنه من احتلالها سنة 1830 توالت جحافله ، وتتابعت مع قدومه المحن والمصائب،وراح يعمل جاهدا على تغيير كل المعالم التاريخية والحضارية والاجتماعية لهذا البلد،ولتحقيق هذا الغرض انتهج سياسة السلب والنهب وكل أنواع البطش والتقتيل،لتبدأ معانات الشعب الجزائري ،والمرأة الجزائرية على وجه الخصوص ، حيث عاشت حياة بائسة ملؤها الفقر والمرض والجهل ، ولأن المرأة تمثل نصف المجتمع ولها دور أساسي في نمو المجتمعات ونهضتها كونها صانعة الرجال ومربية الأجيال فقد مثلت بالنسبة للمستعمر مفتاح اختراق المجتمع الجزائري عن طريق الغزو الثقافي الموجه إليها ، بغية البقاء والسيطرة ، ومن هنا كان للمرأة الجزائرية جانبا مهما في الحياة الثقافية للجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي وعليه فقد جاء موضوع المذكرة على النحو التالي:"الواقع الثقافي للمرأة الجزائرية في ظل الاستعمار الفرنسي".

دوافع اختيار الموضوع:

ما دفعني للخوض في هذا الموضوع هو رغبتي الملحة في معرفة الحياة الثقافية التي عاشتها المرأة الجزائرية خلال الاستعمار الفرنسي ، خاصة وأنني على اطلاع ببطولاتها في هذه المرحلة ، مربية ، مناضلة ، فدائية ، ممرضة ، مسبلة ، ومجاهدة إلى جانب أخيها الرجل ، حيث برزت أسماء عديدة لجزائريات خلدن أسماءهن في سجل تاريخ الجزائر ، فحاولت تتبع الواقع الثقافي التي عاشته في ضل الاستعمار الفرنسي ومعرفة مدى مساهمته في صناعة المرأة الجزائرية لتاريخ عظيم .

اشكالية الدراسة :

تمحورت الإشكالية التي بني عليها الموضوع على الأسئلة الآتية :

_ كيف كان واقعها الثقافي في ضل السياسة الاستعمارية من جهة ، وتأثير العادات والتقاليد الاجتماعية من جهة أخرى ؟

_ أين تجلت مكانة المرأة في التراث الجزائري وكيف بدأت المحاولات لإصلاحها ؟

_ ما هو الدور الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اتجاه المرأة ،وما هي انعكاساته ؟

أهمية الدراسة :

- تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تحاول الكشف عن جانب مهم من تاريخ المرأة الجزائرية ألا وهو الحياة الثقافية.
- يعالج الموضوع قضايا ليست زمنية عارضة ، وإنما هي مستمرة ودائمة ، وذات وقع اجتماعي يومي ، وتأثير مباشر على مجرى الحياة الإنسانية بصفة عامة .

إطار البحث:

شرعت في الموضوع من بداية الاحتلال الفرنسي سنة 1830 ، موضحة اسلوب السياسة الاستعمارية ضد الشعب الجزائري ، وانعكاساتها على المرأة ، أما نهايته فقد حددت بسنة 1954م وهو تاريخ اندلا ع الثورة الذي يعد منعطفا تاريخيا لهذا البلد، وقد شاركت المرأة الجزائرية في هذا الحدث في عدة ميادين ، مخلدة تاريخا يفخر به الأجيال.

المنهج المتبع :

اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي ، من خلال وصف الواقع الثقافي للمرأة الجزائرية في ضل الاستعمار الفرنسي ، مع تحديد عوامله وأسبابه ونتائجه ، من خلال تتبع مراحله ، و ذكر الأطراف المشاركة فيه ، الفاعلة فيه والمتفاعلة معه ، وقد اعتمدت في

بعض الأحيان على منهج المقارنة ،لإبراز وجهة نظر العلماء في موضوع ترقية المرأة والتي كانت متقاربة على اعتبار المرأة عنصرا فاعلا في المجتمع .

خطة البحث :

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول أولها تمهيدي ، وخاتمة كانت عبارة عن حوصلة عامة للدراسة ومجموعة من الملاحق والصور التاريخية.

وأما المقدمة فقد جاءت في شكل تعريف شامل للموضوع .

والفصل التمهيدي كان بعنوان:"واقع المرأة الجزائرية في ظل الاستعمار الفرنسي"وتناولت فيه أسلوب الإبادة الاستعمارية ضد الأمة الجزائرية أين عمد الاستعمار الفرنسي إلى تحطيم مقوماتها لكي يكرس وجوده في البلاد وإلى الأبد ، أين انعكست سياسته على الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للشعب الجزائري ،الذي كان له التأثير المباشر على المرأة الجزائرية في مختلف الأصعدة.

أما الفصل الأول فقد جاء تحت عنوان:"واقع المرأة الجزائرية بين الاستعمار الثقافي والمرابطية المنحرفة" ومن خلا عنوانه فقد تناولت فيه جانبين سلبيين مؤثرين على الحياة الثقافية بالنسبة للمرأة تمثل الأول في سياستي التنصير والتعليم الفرنسيتين ومدى تأثيرهما على المرأة ، فيما تمثل الجانب الثاني في انتشار الخرافات والبدع التي كان لها تأثير كبير على المرأة الجزائرية ، وقد ختمت هذا الفصل بإبراز مكانة المرأة في التراث الجزائري من خلال تسليط الضوء على أعلام جزائرية اهتمت بموضوع المرأة ودعت إلى ترقيتها والنهوض بها .

أما الفصل الأخير فجاء بعنوان:" المرأة الجزائرية ضمن المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وهنا اجتمع شمل العلماء تحت راية واحدة ، وحملت الجمعية على عاتقها مشروع إصلاح المرأة وترقيتها ، وإعدادها إعدادا يليق بمكانتها في المجتمع باعتبارها أما وزوجا وأختا ، من خلال تعليمها والدّفاع عنها في سبيل تحريرها من الجهل والتّخلف والتبعية.

أما الخاتمة : فقد جاءت على شكل استنتاجات لهذه الدراسة ولتقريب الصورة الثقافية للمرأة الجزائرية أدرجت في الأخير جملة من الملاحق .

نقد المصادر :

لقد كانت المادة العلمية المعتمد متداخلة مع مواضيع أخرى لا تهم موضوع البحث، مع الانتقال من موضوع إلى أخر،ثم العودة إلى الموضوع السابق ، فكانت غير منظمة الأمر الذي صعب علي ضبط خطة البحث .

صعوبات البحث:

لقد تخللت الموضوع مجموعة من المصاعب تكمن في صعوبة البحث كونه متعدد الأطراف والمواقف والأحداث إضافة إلى وجود صعوبة في اقتناء بعض المصادر التي لم تتوفر في مدينتي،على غرار جريدة الفاروق وجريدة الإقدام وغيرها،مما اضطرني إلى نقل محتواها من المراجع التي تطرقت إليها،إضافة إلى عامل الوقت، فالموضوع يحتاج إلى وقت أطول وبالتالي جهد أكبر ، ليستوفي حقه.

مصادر البحث ومراجعه:

ورغم ذلك فقد تمكنت بفضل الله من جمع ما تيسر لي من معلومات معتمدة في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع ، وقد شملت المصادر مجموعة من الكتب على غرار كتاب شارل روبير آجرون"الجزائريون المسلمون وفرنسا"، أحمد طاب الإبراهيمي "آثار البشير الإبراهيمي"،عمار طالبي "آثار بن باديس" ... بالإضافة إلى الجرائد والمجلات من بينها : جريدة 'البصائر'، ومجلة 'الشهاب'، أما المراجع فكان أهمها تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله ، وكتاب تركي رابح ، "التعليم القومي والشخصية الوطنية"، وكتاب علي مراد ، "الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر" ،إضافة إلى بعض الملتقيات منها مريوش أحمد ، "مكانة المرأة في التراث الجزائري " ،في الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة الجزائرية ، وكذلك

بعض الدراسات الجامعية من أهمها مذكرة الزهير بن علي "قضايا المرأة ضمن اهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية ، إضافة إلى بعض المواقع الإلكترونية .

في بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر تعرضت الجزائر لأبشع هجمة إستعمارية عرفها التاريخ المعاصر، لقد عمدت هذه القوة الغاشمة إلى إغراق البلاد في بحر من الدماء، وحولت معالمها ومؤسساتها إلى خراب ومجموع الشعب إلى بؤساء تحت السيطرة القهرية ، لقد كان لهذا الواقع المرير الذي عاشه الشعب الجزائري في ظل الاستعمار الفرنسي، انعكاسه المباشر على المرأة الجزائرية، التي تعرضت الى ابشع انواع التعذيب ، ونالت نصيبها من المعاناة والحياة البائسة، التي طبعت يومياتها بالفقر والجوع والحرمان.

أولا / المرأة الجزائرية في ظل الهيمنة الفرنسية :

جاء في البند الخامس من معاهدة الاستسلام التي وقعت يوم 5 جويلية 1830 م بين الداي حسين والجنرال دوبورمون (De Bourmont)، قائد الحملة الفرنسية على الجزائر،أنّه: " تبقى ممارسة الديانة المحمدية حرة ، كما أنه لن يقع أي اعتداء على حرية السكان من جميع الطبقات، ولا على دينهم، وأملاكهم، وتجارتهم، وصناعتهم ، و نساؤهم سيحترمن "[1]، وقد قطع المارشال دوبورمون عهدا على نفسه مقسما بشرفه بالالتزام بهذه المعاهدة [2] .

لكن ما حدث كان عكس ذلك ، فالمستعمر الفرنسي تجاهل كل العهود التي قطعها على نفسه للشعب الجزائري عشية الغزو،وشرع في تطبيق سياسته الجهنمية، فبقيت هذه المعاهدة حبرا على ورق، فقد عملت الحكومة الفرنسية على السير قدما في تحويل اجمل المساجد الى كنائس ومستشفيات وملاجئ ، والاستيلاء على الأوقاف والحاقها بالادارة الفرنسية ، حتى قبور المسلمين لم تسلم اذ تم تحويلها الى طرقات عمومية ، وتم ارسال رفات الاموات الى مرسيليا لصنع فحم العظام ، وغير ذلك من العوامل التي أثارت استياء الشعب الجزائري. [3]
لقد اتسمت الحملات العسكرية الفرنسية بأسلوب البطش والتعذيب والقتل الجماعي،"فالغزو

---

[1] – حمدان بن عثمان خوجة ، "**المرآة**"، تر: محمد العربي الزبيري ، ANEP، الجزائر، 2005 ، ص ، 172 .

[2] – فرحات عباس، "**حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار**"، تر.أبو بكر رحال، ANEP ، الجزائر، 2005 ،ص 81 .

[3] – عبد الجليل التميمي ، "**التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر**"، "المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر"،ع1،[م.ب.إج.إق]، تونس ، جانفي 1974 ، ص 16 .

الفرنسي للجزائر كان دمويا جدا، وتم باستخدام طرق التقتيل الأكثر كفاءة في ذلك الوقت، وبنزع الملكية عن طريق الإغارة والسلب والنهب، بالإضافة إلى الاعتقال والسجن والذبح العشوائي للمواطنين المدنيين العزل... والنساء الجزائريات لم يكنّ بمعزل عن هذا الواقع التخريبي ، خطف واغتصاب جماعي وتصفية جسدية ، وبيع في المزاد العلني"[1].

بل وصلت الدناءة بالمستعمر الغاشم الى حد عرض المرأة الجزائرية المسلمة في سوق النخاسة للإسترزاق بها ، واستبدالها بالسلع ، كما حولت الى حيوان لحمل الاثقال ، فهذا الكولونيل ديمونتياك (Demontiaque) ، يجيب في رسالته الى الجنرال لاموريسيير (Lamoriciére) عن مصير النساء اللائي أسرن قائلا : " إننا نحتفض ببعضهن كرهائن ، ونستبدل بعضهن بالجياد ، ثم نبيع الباقيات منهن بالمزاد العلني ،باعتبارهن حيوانات لنقل الاثقال" هذه الوضعية زعزعت ثقة المرأة الجزائرية بنفسها، وجعلتها في حالة من الخوف الدائم على مصيرها ومصير أطفالها وأسرتها وأهلها[2].

ويعترف الجنرال سانت أرنو(Saint Arnaud) أعماله الوحشية لأخيه وأهله و أصدقائه، في رسائله العديدة ،اذ يقول في رسالة مؤرخة في يوم 7 أفريل 1842 متحدثا عن الجزائر : " ... هي أغنى بلاد رأيتها في إفريقيا الشمالية لقد أحرقناها كلها ودمرناها تدميرا ...هي الحرب ! آه من الحرب ومن ويلاتها !...فكم من النساء و الاطفال الذين فروا أمامنا والتجؤوا الى ثلوج جبال الأطلس فهلكوا فيها بردا وجوعا . " [3]

كما يتحدث الكولونيل "بان"(Bein) عن الفظائع التي ارتكبها بحق النساء والأطفال في أثناء حملته لاحتلال مدينة الأغواط : " لقد كانت المجزرة فضيعة ، أصبحت الخيم التي

---

[1] – Naïma Kitouni-Dahmani" , **Femmes dans la tourmente coloniale** ", confluences méditerranée , n°19, 1996, p.40.

[2] – – يمينة بشي، "**مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال**"، مجلة المصادر، ع3 ، [م.و.ب.ح.ث] ، دار الحكمة، الجزائر ، 2000 ، ص 212.

[3] – – مسعود كواتي ، "**المرأة الجزائرية والاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر** " ،الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة الجزائرية ، إعداد: [م.و.ب.ح.ث] ،ط2 ، دار هومة،2007 ، ص 51.

يسكنها الأجانب في ساحة المدينة وفي الأزقة والمنازل تغص بالجثث... إنّ جنودنا الذين كان يقتلهم العدو غيلة من نافذة أو باب منفتح قليلا ، أو من فجوة من السطح ، كانوا يهجمون على المنازل ويطعنون كل من وجدوه بلا شفقة ولا رحمة كان يصعب عليهم التمييز بين ذكر وانثى وبين رجل وطفل ، ولذا كانوا يقتلون ويقتلون دون إعلام ولا إنذار... ، و بعد الاستيلاء على المكان، تبيّن أنّ عدد الضحايا بلغ 2300 قتيل أغلبهم نساء وأطفال." [1]

وقد وضع الاستعمار الفرنسي مجموعة من القوانين منذ احتلاله الجزائر ليحكم سيطرته عليها وعلى خيراتها ، ومن العراقيل التي وضعها القانون الفرنسي أن الزوجة المسلمة المتوفى عنها زوجها لا حق لها في النفقة من زوجها أو من الدولة إلا إذا كان زوجها قد عقد طبقا للقانون الفرنسي،أي إذا كان الزوج قد تخلى عن أحواله الشخصية الإسلامية، فقد طالبت إمرأة توفى زوجها في معركة فرنسية ،بالنفقة من السلطات الفرنسية ، ولكن هذه السلطات أجابتها بأنه لا حق لها في ذلك لأن زواجها منه كان طبقا للشريعة الإسلامية ، وقد كثرت شكاوى النساء الجزائريات من جراء ذلك خلال الاحتلال الذي زعم قادته أنهم كانوا يرثون لحالهن ومآلهن [2].

وقد بلغ تعسف المستعمر في اضطهاده للمرأة الجزائرية درجة انه يحاكمها أمام المحكمة القضائية لمجرد انها شوهدت وهي تحتطب حزمة من الحطب في الغابة ، بل كان يسجنها ويرهقها لدفع الضارئب تكفيرا عن فعلتها كما أنها تعرضت إلى الإهانة في كرامتها وشرفها، والاعتداءات المتكررة من جنود الجيش الفرنسي، وهذا بشهادة بعض المؤرخين الأجانب أنفسهم الذين ذكروا بموضوعية بعض الحقائق التي تبين مدى انحطاط سلوك الجيش الفرنسي الذي يزعم انه جاء بالحضارة والمدنية ليغرسها , وهذا "اجرون" (Ageron) يتحدث عن هؤلاء الجنود في تربة شمال إفريقيا، والجزائر خصوصا واصفا وحشيتهم في معاملة المرأة قائلا :

---

[1] – – فرحات عباس، مصدر سابق ، ص 74.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي**،1954/1830 ، ط 1 ،[د. غ.إ]، الجزائر، 1998 ،ج6 ،ص ص 347_346 .

"إن النساء اللائي كن يقعن في أيدي هؤلاء الجنود لا يستطعن أن يهربن من قدرهن المحتوم ... "ويضيف قائلا:"إلا أن العرب كانوا يحاربون بضراوة اشد لأجل الدفاع على شرف نسائهم ."[1]

وأسوأ ما كانت تتعرض إليه المرأة هو النفي عن أهلها وموطنها فعانت كما عان الرجال من المنفى ، فقد نفت فرنسا المرأة الجزائرية وحدها أو مع الرجال إلى كاليدونيا[2]،وعانت في المحتشدات وغنت للحرية التي كانت تحوم فوق رأسها،وبكت زوجها وأبنائها يوم وصلها خبر استشهادهم في المعارك[3].

ثانيا /نماذج حول شجاعة وتضحية المرأة الجزائرية:

من جراء ما لحق بالمرأة الجزائرية من ظلم وتعسف وقهر من طرف الفرنسيين،أن أصبحت تكن الكره والحقد لهؤلاء الفرنسيين ففي رسالة مؤرخة بتاريخ 21 سبتمبر 1830 من طرف احد الضباط الفرنسيين يبين فيها مشاهدته لحفل زواج وقد أراد مشاهدة العروس فانتظر انتهاء الحفل ،ولما رأته انفعلت وتفوهت بكلام لم يفهمه،رافعة قبضة يدها في وجهه ونادت إلى عربي وهو زوجها ليقف بجانبها،وفي زمالة الأمير عبد القادر حيث يوجد الأسرى الفرنسيين والمسيحيون

---

[1]- يمينة بشي ،مرجع سابق ،ص 213.

[2]- **كاليدونيا الجديدة** : مستعمرة فرنسية في قلب المحيط الهادي شرقي استراليا على مساحة 19000كلم2 ، احتلتها فرنسا عام 1853 م ، وقد اتخذتها منفى للجزائريين منذ 1873 ، فبعد ثورة المقراني والشيخ الحداد ، عمدت الادارة الفرنسية الى ابتكار اسلوب غير مسبوق امعانا منها في الانتقام ممن حمل السلاح ضدها ، وهو النفي الى جزيرة كاليدونيا ، وهي تبعد عن ميناء تولون 22000كلم ، حيث تنقل المئات من الجزائريين في رحلات الموت والعذاب ، وتؤكد الأرقام أن فرنسا نفت من الجزائريين 2106 عبر فترات متباعدة حتى نهاية القرن 19م ، للمزيد حول الموضوع ، شاهد الفلم الوثائقي "كاليدونيا مظلمة النفي " اخراج عبد القادر سالم ، تصوير محمد صحراوي وآخرون ، قناة الجزيرة الوثائقية ، ارشيف التلفزة الجزائرية ، المنتج المنفذ ALHAKAIKالجزائر (د.ت) .تمت المشاهدة من الموقع التالي :
https://www.youtube.com/watch?v=rxQ1-q5CF7M

[3]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج6 ،ص 343 .

كلفت إمرأة بغسل ثيابهم، فكانت تطلق على اسم غير الجزائريين اسم "الكلب" ، وتقصد بالذات الفرنسيين[1].

ورغم كل الجرائم وانواع البطش والتعذيب التي عانت منها المرأة الجزائرية ، نجدها قد حافضت على مبادئها وحبها لقومها ، فهذه لالة "خيرة" زوجة الأمير عبد القادر التي اختارت أن تبقى ظلا لزوجها يجوب بها الأودية وقمم الجبال، بل تحملت غيابه عنها عدة شهور متوالية في المعارك.

وهذه شقيقته خديجة هي الأخرى التي كانت تمتطي صهوة الفرس وتستقبل الجيش الذي هزه الخبر الكاذب بمقتل الأمير عبد القادر مرددة إن استشهد شقيقي، فجهادكم انتم على الدين والوطن، وذكركم باق إلى الأبد وهؤلاء أهله وأولاده في كنف الله، وتحت رعايتكم فحافظوا عليهم إلى أن يظهر الله ما في غيبه ، كما كانت نساء غريس(بمعسكر) هن اللواتي تتكون منهم مؤخرة جيش الأمير عبد القادر، وكانت مهمتهن إعداد الرصاص ومداواة الجرحى، وفي الكثير من الأحيان يأخذن أمكنتهن بين صفوف المقاتلين لكنهن كن يرتدين برنوسا ازرق حتى لا يتميزن عن الرجال [2]،

ومن اقرب النساء له والدته "لالا زهرة" التي عملت على رفع معنويات القتال لابنها للمضي قدما في جهاده ضد الغزاة وهذا فضلا عن عدة مهام تكفلت بها أثناء الحرب مثل توليها بنفسها مهمة رعاية الأسرى وتقديم الإسعافات الضرورية لجيش الأمير وتشرف على المستشفيات المتنقلة التي ترافق جيش الأمير في تنقلاته ملاحقا جيش العدو[3]،ونتيجة لمكانة أمه المرموقة وخاصة في قومه فقد كان الأمير يدعى بإبن السيدة زهرة، وكان كثيرا ما يشاورها ويتبع نصائحها، وبعد معاهدة تافنة ظهر على الأمير بعض الراحة وتلقي الهدايا ، فذكرته أمه بما

[1]- مسعود كواتي ، مرجع سابق ،ص 55 .

[2]- نفسه ،ص 324 .

[3]- مسعودة يحياوي وآخرون ، دور المرأة في الثورة التحريرية ، [م.و.ب.ح.ث]،(د.م) ،2007 ، ص9 .

يجب على الرجل البسيط،رجل الدين والتقشف، فكان لا يلبس إلا الصوف البيضاء دون زخرفة، ولما كان في تاكدامت سمع بأمه مريضة، وهي في مليانة، فبادر إلى زيارتها قاطعا على ظهر الحصان 160كلم في خمس عشرة ساعة، وكانت أمه وزوجته في الزمالة سنة 1843 ، ولما وصل الجيش الفرنسي إلى موقع الزمالة دارت معركة حامية حول الخيمة التي تضم السيدتين ودافع عنها فريق من الجيش النظامي حتى قتل دونها،لتمكين السيدتين من الهروب الذي لم يعلم به الفرنسيين ، ثم ان لالة زهرة هي التي استقبلت الأسرى الفرنسيين سنة 1845 بعد معركة سيدي ابراهيم ، وقيل انها هي التي نصحت ابنها الأمير سنة 1847م بتوقيف الحرب بعد فقدان الأمل في الهروب إلى الصحراء ،ومحاصرة الفرنسيين لهم،وقد عانت لالة زهرة أيضا من السجن عند الفرنسيين بفرنسا حوالي خمس سنوات،وكذلك لالة خيرة وأطفالها. [1]

ولما حاول الفرنسيين الدخول إلى مدينة قسنطينة اثر حصارهم الأول لها في شهر نوفمبر 1836 شاركت المرأة في عملية التعبئة والدفاع ويؤكد ذلك فندلين شلوصر بقوله:"وحملت الجثث من ارض المعركة إلى المدينة، فوضع النساء والأطفال الحبال في أقدامها،ثم سحبت عبر الشوارع وصارت مشهدا من مشاهد التسلية العامة وكان عدد كبير من النساء يسير خلف الجثث ويضربها بالعصا" [2]، وقال أيضا:"عندما شوهد وصول قوافل العدو إلى مدينة قسنطينة وتعدت أسوار وأبواب المدينة،خرج النسوة وهجمن بالمناجل والخناجر "، ولعل خروج المرأة القسنطينية خلال حصار مدينة قسنطينة إلى ميدان المعركة لمساندة المقاتلين الرجال يدل على ما تكنه المرأة الجزائرية للمستعمرين،رافضة وجودهم على ارض الجزائر، وما يفعلونه من أعمال اجرامية في حق السكان العزل الذين أبوا إلا الدفاع عن أملاكهم وأرزاقهم وأعراضهم ، لان همجية جيوش الاستعمار فاقت كل التوقعات التي أخذت توجه الضربات القاتلة لكل من تجده

[1]- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج 6 ، ص 342 .

[2]- مسعود كواتي ، مرجع سابق ، ص 47 .

أمامها دون تمييز بين الكبير والصغير وبين الرجل المرأة ، ووصلت همجيتها إلى ذبح الرضع على صدور أمهاتهن،بل بعض من النساء تم بيعهن بالطريقة التي تباع بها الحيوانات [1].

ومن نساء الجزائر من رسمت اروع صور التضحية والشجاعة والدفاع عن الوطن وهذا ما يظهر جليا من خلال سيرة وحياة "لالا فاطمة نسومر"[2] 1830 /1863م، التي واجهت جنرالات فرنسا، وأظهرت بطولة وبسالة قلّ نظيرها في مواجهة الجيش الفرنسي، الذي توغل داخل منطقة زواوة بقصد احتلالها بين سنتي 1844 / 1845م ، فكانت تحارب إلى جانب "بوبغلة"، تخوض المعارك بنفسها، وتبعث في نفوس المجاهدين الشجاعة والإقدام، ولما خشيت السلطات العسكرية الفرنسية المحتلة، خطر هذه الحرب التي تقودها امرأة، جنّدت لها جيشا بخمس وأربعين ألف مقاتل يقوده الجنرال راندون (Randon) ويساعده الماريشال ماكماهون (Mc Mahon) من قسنطينة، بينما لا يزيد عدد المقاومين الذين تزعمتهم "لالا فاطمة نسومر" عن سبعة آلاف، مع قلة عتادهم وسلاحهم، واحتدم القتال بين الطرفين، فرأت "لالا فاطمة"، إشفاقا على النساء والأطفال الذين كانوا داخل المعركة، أن تأمرهم بالالتجاء إلى أقرب القرى، غير أن القوات الفرنسية اقتحمت القرية ، وهناك تأسّرت "لالا فاطمة نسومر"فيمن كان معها من النساء والأطفال، وكان ذلك يوم 11 جويلية 1857 م، وبذلك

[1]- مسعودة يحياوي وآخرون ، مرجع سابق ، ص 10 .

[2]- **لالة فاطمة نسومر** : امرأة مرابطة تمتاز بالأدب والجمال والذكاء ، بنت حسب ودين ولدت حوالي 1830 لأبيها الشيخ الطيب الذي كان يسهر على زاوية ورجة الرحمانية ، كان لها أربعة إخوة ، أشهرهم وأكبرهم السي الطاهر ، وبعد طفولة قضتها في العمل المنزلي وفي التعليم تزوجت وهي بنت الست عشر سنة ، زواجا غير ناجح ، فعادت الى بيت أهلها ، ولكن زوجها أبقاها في عصمته ولم يسرحها بإحسان ، ولعلها وجدت العزاء عن الحياة الزوجية في العمل على رأس زاوية ورجة عازمة أن تجعل منها مركزا قويا للزيارات والعوائد والجهاد ، ولعل شيخها الحاج عمر الذي كان على رأس الطريقة الرحمانية الأصيلة كان يشجعها على ذلك وقد لاحظ فيها الطموح البالغ والشخصية القوية وقد واصلت الجهاد في أنحاء جرجرة بعد استشهاد بوبغلة الى أن تأسّرت يوم 11 جويلية 1857 م،حيث بقيت تحت الإقامة الجبرية في المعتقل،أين لبثت سبع سنين، إلى أن توفيت بداء أصابها في شهر سبتمبر عام 1863 م عن عمر يناهز 33 سنة ، أنظر : ابو القاسم سعد الله ، "**الحركة الوطنية الجزائرية 1830/1900**"، ط1، [د.غ.إ] ، بيروت ، 1992، ج1، ص 352.

انتهت ملحمة البطلة"لالة فاطمة نسومر"التي أعطت للإستعمار درسا في الدفاع عن سيادة الوطن [1].

ويذكر لنا الاستاذ يحي بوعزيز أسماء عدد من النساء الجزائريات البطلات والزعيمات اللائي اشتهرن بأعمالهن وبطولاتهن ، ونذكر من بينهن على سبيل المثال لا الحصر: السيدة خديجة التي اطلق اسمها على اعلى قمة جبال جرجرة ، والسيدة زينب القاسمي شيخة زاوية الهامل التي أدارت الزاوية ثمانية سنين من عام 1897 الى عام 1904 ، وكانت مثقفة ثقافة متينة أهلتها لتلك المهمة الي يعجز عنها بعض الرجال .[2]

ولا يمكن اغفال الدور الذي لعبته السيدة 'العالية حمزة' [3]، وهي المرأة التي حملت اسمها أشهر مقبرة في الجزائر ، عملت مسؤولة في مدرسة لتدريس البنات في سيدي عيسى المجاورة لمنطقتها أنشئتها بمالها الخاص قصد تدريس وكفالة البنات اليتيمات ، كانت ثروتها كبيرة ، فكانت تقيم الولائم والذبائح للفقراء والمساكين وتكسيهم وتطعمهم عند المواسم، وقد حضيت باحترام جميع الناس وكلهم يثنون على فضلها وأخلاقها وكرمها ، وفي سنة 1930 وهبت العالية للحكومة الفرنسية قطعة أرضية تقدر مساحتها بـ 800 ألف متر مربع، وذلك

---

[1]- محمد ارزقي فراد ، "**جزائريات صنعن التاريخ**" ، دار الأمل ، (د.م)، 2006 ، ص55.

[2]- يحي بوعزيز ، "**المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية**"، دار الهدى، الجزائر، 2000 ، ص.ص، 23- 25

[3]- **العالية حمزة** : إمرأة صالحة وزاهدة ، ولدت سنة 1886 بمنطقة سور الغزلان ولاية البويرة بيد أنها من أصول نايلية، وهي ابنة محمد بوترعة وفاطمة شعبان وكان والداها ثريين ، وكان لها أخ وحيد يسمى عيسى وأخت وحيدة تسمى حبارى وعند وفاة والدهم اقتسموا ثروته وعملت في مجال التجارة لتتوسع ثروتها وتملك أراضي واسعة في العاصمة ومنطقتها وبوسعادة والجلفة وغيرها ، كانت تلبس كل أنواع الحلي حتى أنها عندما تدخل الأعراس تخطف الأنظار من جميع الحضور بسبب ألبستها وحليها ومجوهراتها الفاخرة ، وبعد حياة حافلة بالعطاء، توفيت العالية حمزة سنة 1932، في ظروف غامضة حيث تقول بعض الروايات أنها ماتت مسمومة من قبل بعض ذويها الذين نصبوا أعينهم صوب ثروتها، ودفنت في مسقط رأسها بسور الغزلان ، أنظر : – وحيد سليم نايلي ، "**السر وراء تسمية مقبرة العالية بهذا الاسم**" فكرة مقتبسة من أعلام الفكر والدين والثقافة في الجزائر ، مجلة سيدي عيسى الالكترونية ، إنجاز وتصميم شركة الراشدية ، نشر في الموقع بتاريخ الثلاثاء 18 محرم 1436هـ الموافق لـ :11 نوفمبر 2014 ، تاريخ الاطلاع : الخميس 18 فبراير 2016 م – 9 جمادى الأول 1437 هـ ، سا 19:57، الموقع :

http://www.sidi-aissa.com/ar/?p=98&a=20588

من أجل تحويلها إلى مقبرة لدفن موتى المسلمين، وطلبت بأن تكتب باسمها والتي مازالت تحتفظ به إلى يومنا هذا. وتحولت مقبرة العالية إلى مثوى لجثامين الشهداء والزعماء والشخصيات المرموقة وعامة الناس .[1]

ثالثا / الوضعية الإقتصادية للمرأة الجزائرية :

تعد الزراعة من الركائز الأساسية للاقتصاد الجزائري بحكم أنها مصدر رزق لحوالي 70% من الجزائريين،ويختلف إنتاجها باختلاف العوامل المتحكمة فيه كالتضاريس والمناخ واختلاف نوعية الملكية الزراعية مع العلم أن تربة الأراضي الزراعية الجزائرية تعتبر من أخصب وأجود الأنواع في العالم [2]، مما جعل السلطة الاستعمارية تزيد من عملية الاستيلاء والتوسع على حساب الفلاح الجزائري ، فقد عمل الاستعمار منذ بداية الاحتلال على الاستيلاء على الأراضي ، وكانت البداية بأملاك الأتراك وأراضي الجزائريين المحاربين ، ثم أخذت فكرة الاستعمار تتبلور ، فشجعت الادارة الاستعمارية عملية الاستيطان من خلال تقديم اجود الأراضي للمعمرين[3] ، وقد نتج عن ذلك تفاوت هائل بين الملاك الاروبيين والملاك الجزائريين ، حيث نجد 72% من الجزائريين يعيشون على الفلاحة مقابل 16% من الاروبيين ، لكن نسبة الارض الصالحة للزراعة هي 109 هكتار للاروبي ، و 14 هكتار فقط للجزائري [4]، وقد أخذت حدة الاستيطان في تزايد على حساب الاراضي الزراعية ، ففي سنة 1929 وضعت الادارة الفرنسية يدها على 318.770 هكتار .

---

[1] – وحيد سليم نايلي ، الموقع السابق .

[2] – أندري برنيان وآخرون ، "**الجزائر بين الماضي والحاضر**" ، تر: اسطنبولي رابح ، منصف عاشور، [د. م .ج] ، الجزائر، 1984 ، ص 185 .

[3] – نبيل أحمد بلاسى ، "**الإتجاه العربي والاسلامي ودوره في تحرير الجزائر**" ، [هـ.م.ع.ك] ، (د.م) ، 1990 ، ص23 .

[4] – عمار بوحوش ، "**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**" ، ط1 ، [د.غ.إ] ، (د.م) ، 1997 ، ص372 .

وفي 1934 تم بناء 972 قرية استيطانية ونصب فيها 150.500 مستدمر ساعدتهم الادارة الفرنسية على استثمار 1.650.000هكتار[1]، مع العلم ان نسبة المستوطنين العاملين في هذا القطاع لا يمثلون سوى 14,4% ، مما دفعهم إلى استغلال الفلاحين الجزائريين استغلالا بشعا [2].

ولم يكتف الاستعمار من اغتصاب اكثر الاراضي الجزائرية ريا واطيبها مناخا وتحويل اصحابها الى خماسين او عمال موسميين، بل تعدى ذلك الى استثمارها لصالحه الخاص دون مراعات صالح البلاد [3] ، حيث خصصت أخصب الاراضي لانتاج المحاصيل التجارية المعدة للتصدير ، مثل زراعة الكروم المنتجة لعنب الخمور والتي خصصت لها حوالي نصف مليون هكتار من الاراضي الخصبة ،كما اهتم الكولون بزراعة الحمضيات ، والتي تطور منتوجها من سبعمائة الف قنطار سنة 1931 ، الى مليونين وسبعمائة وستة عشر الف قنطار سنة 1950، واصبحت بذلك تحتل المرتبة الثانية في قائمة الصادرات بعد الخمور التي كانت تنتج بمعدل 16مليون هكتار سنويا سنة 1954 ، ولصالح الكروم والحوامض ، اهملت زراعة القمح وسائر انواع الحبوب الاستهلاكية [4]،

ويبدو أن زراعة الزيتون قد عرفت انتشارا واسعاً في الجزائر ، فاشجار الزيتون تحجب في القطر الجزائري نحو 85 الف هكتار . وفيها 9 ملايين شجرة مثمرة ، و5 ملايين شجرة مهملة ،على ان الاستعمار قد زاحم هذه الغراسة ايضا ، مزاحمة عنيفة ، فاستولى على احسن جهاتها ، فهو يملك منها الثلث(ثلاثة ملايين شجرة)من احسنها موقعا واكثرها انتاجا ، وهذه الزياتين الكثيرة التي كانت تستطيع جعل القطر الجزائري من اكبر منتجي زيت الزيتون الرفيع في

[1]- بلقاسم ميسوم ، "**سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال الفترة 1930/1954**"، مجلة علوم الانسان والمجتمع ، ع6،جامعة بسكرة ، الجزائر ، جوان 2013، ص 57 .

[2]- شارل روبير أجرون، "**الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871/ 1919** "، تر. حاج مسعود بكلي، دار الرائد، الجزائر، 2007 ، ج2 ، ص 305.

[3]- أحمد توفيق المدني ، "**هذه هي الجزائر**" ، [م.ن.م] ، القاهرة ، (د.ت)،ص112.

[4]- العربي الزبيري ، "**تاريخ الجزائر المعاصر**" ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، (د.م) ، 1999، ج1، ص64.

العالم ، لا تنتج سنويا الا 350.000 هكتولتر ، تستولي عليها ايدي الاحتكار الاوروبي ، فلا تعود على صاحب البلاد الا بالنزر اليسير [1] ، وهذه المعطيات تبين بوضوح جنوح السلطات الاستعمارية لخدمة الاقتصاد الفرنسي وإهمال الاقتصاد الأهلي مما أنعكس سلباً على أوضاع السكان الأهليين.

وفيما يخص العمل في القطاع الفلاحي ، فقد دلت الإحصائيات على أن عدد السكان العاملين بالقطاع، تجاوز 2.6 مليون عامل، منهم حوالي مليون إمرأة عاملة بالفلاحة ، و لكن هذا الرقم مليون إمرأة عاملة بالقطاع ، لا يمثل في حقيقة الأمر عاملات ذات أجر شهري دائم ومستقر، وإنما أغلبهن كن مساعدات لأزواجهن في عمليات الحرث والبذر و جني الزيتون، فعندما كان الفلاح يخرج إلى العمل في أرضه، كانت زوجته تتبعه لمساعدته في عمله، وفي حالة ما إذا توفي الزوج، تصبح الزوجة ، هي المسؤولة عن كل الأعمال التي كان يقوم بها سابقا زوجها [2].

وفيما يخص القطاع الصناعي ، فلم تشهد الجزائر تطورا في هذا الميدان ، لان الاستعمار حارب تصنيع البلاد حتى تبقى مفتوحة في وجه الصناعة الفرنسية ، بدون قيود ولا حدود ، فهو يستثمر الارض وما تحتها لصالحه، وذلك يكفيه لحياة الترف والنعيم التي يحياها ، فلا فائدة من تصنيع البلاد ،كما ان تصنيعها يزاحم معامل فرنسا ، ويغير وضع سوق اليد العاملة الجزائرية ، فيغري العمال الجزائريين بالعمل الصناعي ، المرتفع الاجور و يزهدهم في العمل الفلاحي لدى المعمرين ، مقابل الاجور المنخفظة ، وهذا ليس في مسلحة المستعمرين [3]،

[1] – أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص 119 .

[2] – محمد قريشي،" **الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلا ع الثورة التحريرية الكبرى 1945. 1954**" ، مذكرة ماجستير، إش : بن سلطان عمار، جامعة الجزائر، 2002 ، ص 82 .

[3] – أحمد توفيق المدني ، مرجع سابق ، ص126 .

ويتضح ذلك فيما قاله مدير الشئون الاقتصادية سنة 1944 : " ليس علينا الشروع في تصنيع الجزائر ، فان ذلك من شانه ان يضعفنا ويجعلنا في موقف عدائي بالنسبة للزراعة الفرنسية "[1]

وهذا ما يفسر عدم وجود صناعة تذكر في الجزائر ، الا بعض معامل الزيت ، والصابون ، وصناعة السجائر والتبغ ، وما بقي بايدي المسلمين من الصناعات المحلية ، مثل نسيج الزرابي ، وحياكة الاصواف ، وصناعة الفخار والاسلحة ودباغة الجلود ، ويبدوا ان تلك الصناعات كانت تستجيب لسد حاجيات عدد معتبر من الاهالي ، والملاحظ في الجزائر ان الطوائف الحرفية التقليدية اخذت في التراجع ،ونجم عن ذلك انقراض اليد العاملة الحرفية في المدن ، ولم يبقى منها سوى الصناعات العائلية التي اسندت فيها مهام الانتاج الى النساء [2] .

لقد كانت المرأة الجزائرية ولمدة طويلة ماكثة في بيتها تقوم بالأشغال الحرفية التي كانت معروفة أنذاك في الجزائر، فالحرف كانت منتشرة في كل البيوت الجزائرية تقريبا، ولكن الأعمال الحرفية في الريف كانت أكثر إنتشارا من تلك المعروفة بالمدن، وفعلا، فإن مئات الألاف من النساء الجزائريات، كن يقمن بصناعة الخزف أو الفخار، وكن ينسجن الألبسة والزرابي، زيادة على بعض الأواني المترلية والقفف المصنوعة من أوراق النباتات، بقصد الإستفادة العائلية منها وكذا بيعها في الأسواق الأسبوعية. و عليه كانت المرأة الجزائرية تشارك بنسبة 90 % في ميدان صناعة المنسوجات الصوفية بدءا من الغسيل وحتى نهاية المنسوج بتلوينه ، و نفس الشيء يقال عن الفخار والخزف، ومنه فإن هذا العمل كان له هدفان هما : ضمان القوت اليومي، وتوفير الملبس لأفراد العائلة [3].

وفي البادية ترى المرأة تعمل مع زوجها اليد في اليد وتسعى لتحصل على قوتها عاملة في الأرض أو منكبة على المغزل والمنسج ، والمرأة العربية أو القبائلية في هذا الصدد على حد سواء

[1] – تركي رابح ، "**التعليم القومي والشخصية الوطنية1931/1956**" ، [ش.و.ن.ت]، الجزائر ، 1975، ص 87.
[2] – آجرون ، الجزائريون ... مصدر سابق ،ج1، ص684 .
[3] – محمد قريشي ، مرجع سابق ، ص 81 .

، وقد تبلغ الفاقة أحيانا بنساء البادية حدا يجعلهن ينزحن الى المدن فيعملن بصفة خادمات في المنازل الأوروبية والاسرائلية ، فيتم استغلالهن أبشع استغلال[1] .

أما نساء المناطق الحضرية فلم يكن بوسعهن الخروج إلى ميدان العمل إلا القليل منهن ، بسبب التقاليد الجزائرية التي كانت تجبر الرجل بإعتباره رب الأسرة ، على ضمان قوت الأسرة و ملبسها، وهذا رغم أن أغلب النساء الجزائريات بالمناطق الحضرية ، كن على دراية تامة بفنون الطرز وأشغال الخياطة وتقنيات الرسم على الألبسة الموروثة عن الأجداد ، فهي لم تكن تبيع منتوجها، إلا إذا إضطرت لذلك عند الضرورة القصوى [2].

لكن تدهور المستور المعيشي و الضروف القاسية التي عاشها الشعب الجزائري دفعت بالمرأة للخروج الى الحياة العملية حيث استغلت أبشع استغلال لخدمة المعمرين والاسر الأوروبية ، بالدرجة الأولى [3]، ولم تكن تهدف المرأة الجزائرية من وراء عملها، الى التحرر من تقاليد الأسر الجزائرية وليس لإثبات الذات، وإنما للحاجة الماسة التي فرضت عليها لضمان معيشتها.[4]

ومع مرور الزمن جاء الإهتمام الفرنسي بالتعليم المهني الموجّه للإناث ، بتعليمهنّ فنون التدبير المنزلي، وما يحتويه من أشغال الإبرة والترقيع والطبخ واستعمالات الصابون ، وأشغال الصوف والسلال والقفف، بغية توفير اليد العاملة الرخيصة.[5]

ولتحقيق ذالك تم توفير ورشات التعليم المهني سواء الخاصة أو التي أنشأتها الكنسية أو الورشات التابعة للحكومة ، وقد اختصت هذه المراكز بأنواع معينة من الزرابي الإيرانية والتركية

---

[1]- أحمد توفيق المدني ، **"كتاب الجزائر"** ، المطبعة العربية (د.م) ، (د.ت) ، ص 363 .

[2]- محمد قريشي ، مرجع سابق ، ص 81 .

[3]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج6 ،ص 348.

[4]- محمد قريشي، مرجع سابق ، ص 85 .

[5]- محمد الطاهر وعلي : " **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 / 1904** "، منشورات دحلب ، الجزائر ، 2009 ، ص 126.

والمغربية والتونسية ، بالإضافة إلى الأنواع المحلية ، مثل زرابي جبل عمّور والقلعة والطرز العربي والبربري...إلخ ، وكان الهدف من هذه الورشات ليس تثقيف البنت المسلمة وإخراجها من ظلمات الجهل كما يزعمون ، ولكن جعلها وسيلة إنتاج تجارية لتبادل المنتوجات والمطروزات التقليدية مع أوروبا ، وعرضعا في المعارض على أنها منتوجات فرنسية، ومن جهة أخرى كان الهدف هو دمج المرأة الجزائرية في الحياة الأوربية وخاصة الاقتصادية ، وإخراجها من بيتها بشتى الوسائل [1].

وقد أنشأن في ورقلة مشاريع لجلب النساء والتغلغل في المجتمع الصحراوي، فكانت لهن ورشة تأوي 200 تلميذة لنسج الزرابي من الصوف والوبر، وكانت لهذه الزرابي سمعة تجارية رائجة حتى خارج حدود الجزائر، وكانت الورشة النسوية تصنع أيضا المخدّات و البرانيس وغيرها، وفي وقت متأخر فتحن ورشة للنساء المتزوجات"[2] .

وقد اضطرت الفتاة الجزائرية للعمل في سن مبكرة ، إذا كانت تعمل في المصانع وسنها لا يتجاوز 12 سنة، وهناك أصيبت بدهشة كبيرة عندما رأيت مظاهر الترف، التي كان يعيشها المجتمع الأروبي وفي المقابل ،كانت الفتاة الجزائرية العاملة تعاني الكثير داخل المصانع . ففي مصانع الكبريت، يجب على الفتيات أن يبقين حوالي 8 إلى 9 ساعات وهن واقفات دون راحة، أما في مصانع الأسماك، فالفتيات كن يقطعن الأسماك، وتقوم فتيات أخريات بتمليحه وأرجلهن في الماء وأيادهن في أقفاص السردين، وهن واقفات طوال هذه المدة .

أما في مصانع الأحذية، فقد كانت الفتاة دون سن الثانية عشر، تعمل طوال تسعة ساعات ونصف يوميا، وكان جو المصنع ملوثا، وليس هناك مطعما لتناول وجبات الغذاء، ولم يكن لدى الفتيات وسيلة لنقلهن ولا غرفا للملابس، ولم تكن في المصنع أية نافذة سوى فتحات صغيرة لا تسمح إلا بتسرب قليل من الهواء ، وكانت هناك حنفية واحدة فقط داخل

[1]- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج6 ، ص 348 .

[2]- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج6 ،ص 130 .

مرحاض واحد في هذا المصنع الضخم، ومقابل ذلك كان أجرهن زهيدا جدا ، ولا يكفي في الكثير من الأحيان حتى لسد الرمق [1].

فلم تسلم المرأة الجزائرية إذا من الاستغلال الإقتصادي ، وكانت تعاني كثيرا في ضل غياب قانون خاص بعمل المرأة في المصانع والورشات ، وفي هذا الإطار يذكر السيّد "قوديو" (Gaudieux) في كتابه "ثورة النساء في الإسلام"بأنّه خلال 130 سنة، لم تضع الإدارة الاستعمارية أي ، تشريع أو قانون خاص بعمل النساء، ولا حتى نقابة نسائية تستطيع تفادي فضيحة الاستغلال و اللاإنسانية التي تعاني منها النساء العاملات [2]

ويذكر أجرون، أنه : "شُرع في استخدام اليد العاملة النسوية منذ بداية القرن العشرين (1520 عاملة في 1902 ؛ و 7833 في سنة 1905 ؛ و 21397 في سنة 1911 ؛ و25821 في سنة 1924)، غير أنّنا لا نتوفر على معلومات محددة بخصوص نوعية وظائفهن...ومن غريب الأمور في هذا الصدد نجد أن 18,903 من النساء مصنفات ضمن صناعة او تجارة الملابس ، لأنه لم يكن يوجد في علمنا ورشات أهلية لصناعة الملابس تشغل نساء مأجورات ولا عاملات خياطات بالطبع ، يمكن ان نفهم من هذا ان هذا الاحصاء يضم العدد الغفير من المشتغلات في ورشات الخرق في المدن والقائمات بتصنيفها مقابل أجور تتراوح بين 14/10 فرنك في الأسبوع مقابل عشر ساعات يومية ، وتأتي المادة الأولية من عمل نساء أخريات يتكفلن بالتنقيب في المزابل لجمع الورق والخرق، ثم يقمن ببيعها للمؤسسات الخاصة أو للوسطاء الأهالي."[3]

[1]- محمد قريشي ، مرجع سابق ، ص 85.

[2]- نفسه ، ص 86 .

[3]- شارل روبير أجرون، "الجزائريون ... مصدر سابق ، ج2 ، ص 393 .

رابعا / الحياة الاجتماعية للمرأة الجزائرية :

لقد كان لسياسة التعسف التي مارسها الاستعمار ضد المجتمع الجزائري آثارا وخيمة في شتى المجالات، حيث سلبت الحرية ، واغتصبت الأراضي، وانتشرت البطالة ، وتدهور المستوى المعيشي ،ولم تكن المرأة الجزائرية بمعزل عن هذه الأوضاع ، فكان وضعها الإجتماعي سيئا الى أبعد الحدود.

عمل الاستعمار منذ بداية الاحتلال على تشجيع سياسة الاستيطان ، فتم التعمير الأوروبي متكونا من عناصر مختلفة ، وأفراد متباينين الأجناس كونوا هيئة اجتماعية من أمم أوروبية مختلفة ومتنافسين إقتصاديا ، ورغم ذلك لهم موقف واحد ضد الجزائريين يتمثل في العمل على حرمانهم من كل تطور إجتماعي أو ثقافي أو إقتصادي يؤدي بهم الى الترقية ، وقد كانت العناصر الاوروبية متميزة بحماية الإدارة لهم كونهم القوة البشرية التي قطنت البلاد بعد سقوطها ، فاحتلوا المراكز الإجتماعية الممتازة[1]، فالأروبي الذي يهجر أرضه يجد فورا مرافق الحياة كلها [2] وفي المقابل نجد فئة الجزائريين الذين يحتلون المركز الأدنى من السلم الإجتماعي ، يعيشون على هامش الحياة بإعتبارهم مغلوبين ومكروهين ، ويخضعون لقوة عضمى ، فكانوا محرومين من كل شيء مما جعل مستواهم المعيشي أحط مستوى[3]، والى جانب هذه السياسة الاستعمارية القاسية تعرض الأهالي لنكبات ومصاعب قاسية في أعوام 1867 ، 1868 ، 1893 ، 1897 ، 1920 ، فتفشت بينهم الامراض والأوبئة المعدية ، كالكوليرا والتيفوس وهجمت عليهم أمواج الجراد وداهمهم القحط والجفاف ، ففقدو كل شيء ، وتحول معضمهم الى خماسين وعمالا موسميين ، ممن حالفهم الحض في العمل بأجور زهيدة جدا لا تفي حتى

[1]- بلقاسم ميسوم ، مرجع سابق ص 64 .

[2]- فرحات عباس ، مصدر سابق ، ص 72 .

[3]- بلقاسم ميسوم ، مرجع سابق ، ص 64 .

بأبسط الضرورات اليومية لأطفالهم وعائلاتهم[1] ، أما العمال العاطلين فقد تواجد في البلاد الجزائرية أعداد كثيفة منهم ممن يقضون حياتهم عبثا [2].

إن إنتشار البطالة من جهة وانخفاض الاجور من جهة أخرى ، جعلا الأيدي الجزائرية تبحث عن ميادين للعمل ، كي لا تموت البلاد جوعا ، ما دفعهم للهجرة للعمل في المعامل الفرنسية ، ونظرا لقلة اليد العاملة الفرنسية ، والفراغ العظيم الذي أحدثته الحروب في صفوف الشبان اضطرت فرنسا لقبول سيل من العمال الجزائريين في معاملها ومناجمها ، وكان أكثرهم يسافر عن غير استعداد ، وليس له أدنى تخصص ، انما هو يعلم أن تلك الهجرة تنجيه من خطر الموت جوعا في بلاده التي ليس له في أرضها ولا في إقتصادها أي حظ [3] .

وفي المقابل تركت الكثير من النساء بعيدات عن ازواجهن متحملات تربية الاولاد بمفردهن هؤلاء الابناء الذين هم في حاجة عطف الوالد ودفئه ، هذا الوالد الذي يعيش ضروفا صعبة وقاسية ليوفر لقمة العيش لأطفاله[4].

إن الجهل الأسود ، والفقر المدقع ، والظلم الشنيع ، والإهمال الفادح ، كل ذلك قد حط بكلاكله على سواد الشعب في كامل البلاد ، وأصبح النير الإستعماري متمكنا من كاهل الشعب ، طاغيا فاجرا عنيفا ، لا يرحم ولا يشفق [5] ، وكان الفرد الجزائري يعيش بالموجود، فلباسه بالية وقديمة، وحتى مصاريف الإستغلال لم تكن مثل تلك التي في يد المعمرين الأوربيين، الذين كانوا يملكون منازل ضخمة ويعيشون حياة مادية مترفة ،كما كان المجتمع الجزائري يشعر من الناحية الإقتصادية أنه مضطهد، ويعيش على مستوى الكفاية في بعض الأحيان، ودون

---

[1] – يحي بوعزيز ، "**سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830 / 1954**"،[د.م.ج]،(د.م) ، (د.ت)،ص37 .

[2] – توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مرجع سابق ، ص 132 .

[3] – نفسه ، ص 136.

[4] – مسعود كواتي ، مرجع سابق ، ص 53 .

[5] – أحمد توفيق المدني، "**حياة كفاح**" ، عالم المعرفة ، الجزائر، 2010 ، مج.2، ص 32.

ذلك في أغلب الأحيان، وفي الوقت نفسه كان يرى المعمرين وهم يتمتعون بخيرات بلده، دون مشاركة لهم في ذلك. [1]

وقد سجّلت الباحثة الاجتماعية "جيرمان تيون"، التي عاشت في الجزائر، وقدّمت بحوثا حول التحولات الاجتماعية التي كانت تشهدها، أنّ ثلاثة أرباع الرجال من الجزائريين أصبحوا على حافة الضياع والتشرّد، "ولم نكن نعلم كيف كانت بعض العائلات توفّر غذائها خلال فترة ديسمبر إلى جوان"، كما أنّ الباحثة انتهت إلى أنّ تسع من بين عشر عائلات جزائرية كانت تعيش بالموجود، وهي بذلك تعاني من مجاعة حقيقية ومأساة واقعية ، "إننا لسنا هنا بصدد الحديث عن المجاعة التي تؤلم البطن، وإنّما نعني تلك المجاعة التي كانت تؤدي إلى الوفاة مباشرة".

وتؤكّد أنها شاهدت أسوأ من ذلك، حيث تقول: " كنت عندما أسأل في كوخ من أكواخ الأوراس، زكار والونشريس، كم مدة يدوم كيس من القمح أو الشعير ؟ يكون الجواب مطابقا لأعلى مقدار استهلاك شخص واحد في اليوم، كنت أتيقّن أنّ الدرجة الأولى من الجوع قد تمّ سدّها، والتي تتمثّل في الاكتفاء بالحبوب ومشتقاتها في الغذاء...وعندما ينخفض استهلاك الحبوب، أتيقّن أنّ هناك أحد أمرين: إمّا الرّفاه والغنى المتمثّل في قليل من السكر والزّبدة واللّحم والحليب، أو الفقر الكلّي والجوع، الذي يؤلم البطن ويؤدّي إلى الموت".

وهذا ما أكّده لويس شوفالييه (Louis Chevalier)حيث لاحظ أنّ ثلاثة أرباع السكان، كانوا محرومين من الحليب ، واللحم والبيض والمواد الدُهنية الجيّدة، وهم إذا استطاعوا توفير حاجتهم إلى الطاقة، كانت المواد النشوية المتمثلة في مختلف أنواع الدقيق، هي الطعام الوحيد الذي يفرطون في تناوله [2]

[1] – محمد قريشي ، مرجع سابق ، ص 57.

[2] – نفسه ، ص– ص 66 _ 67.

لقد عانت المرأة الجزائرية في ضل هذه الاوضاع ،فكان وضعها الإجتماعي بالفعل سيئا ومزريا إلى أبعد الحدود ، بسبب الظروف القاسية التي فرضها الاحتلال الفرنسي من جهة، وعادات المجتمع الجزائري وتقاليده البالية من جهة أخرى،" فالمرأة الجزائرية سُدّت أمامها كل السبل، وفرضت عليها عادات وأعراف بعيدة كل البعد عن الدين والرقي والحضارة، وجُعل المنزل بمثابة سجن لها، لا تغادره من يوم أن تزف إليه إلى أن تُحمل على النعش إلى القبر.

وفُرض عليها حصار اجتماعي خانق، واعتبر ذكر اسمها في أي محفل بمثابة قلة أدب، بحيث عندما يذكر الرجل كلمة المرأة أو الزوجة يقول لمخاطبيه: "أكرمكم الله"، و"حاشاكم"، و قد عاد ذلك بالتدهور والتخلف عليها وعلى الأسرة والمجتمع "[1] ، هذا إضافة الى معاناتها من الإحتياج وشظف العيش ، بعد ان استولى المستعمر على أرضها وخيراتها ، ودفع بها وبزوجها الى البحث عن عمل لدى المعمرين ، فدفعتها الضروف القاسية للسعي عبر كل السبل والاتجاهات من أجل إعالة أسرتها ، وتوفير حاجياتها وحاجيات أطفالها، وسد نفقات بيتها، ومساعدة زوجها في مواجهة غطرسة الكولون، ووطأة الديون المتراكمة، ودفع الضرائب المتنوعة التي أثقلت كاهل الفرد الجزائري في تلك الفترة ، فعملت في بيوت الكولون خادمة بأجر زهيد. وقد أُجري تحقيق ، لبحث وضعية "المرأة الأهلية العاملة" اجتماعيا، وبيّن البؤس الاجتماعي الذي كانت تعيشه المرأة الجزائرية، ويصف التحقيق ذاته، الأعمال الشاقة التي كانت تقوم بها المرأة خارج بيتها، ويشير إلى أنّ أغلب هؤلاء النسوة كنّ أرامل، أو مطلقات ويعشن ظروفا اجتماعية صعبة ، على عكس نظيراتهن من الأوروبيات [2].

ويذكر ابو القاسم سعد الله بعض سلوك النساء الجزائريات في حياتهن اليومية في المدن " كن لا يخرجن الا الى الحمام حيث يلتقين ببعضهن ويتخذن ذلك ذريعة للإطلاع على الاحوال ، والاستماع الى الأخبار من كل نوع ، وذريعة لتفريج الكرب والترويح عن النفس ،

[1]– يحي بوعزيز ، المرأة...مرجع سابق ، ص 24 .

[2]– يمينة بشي ، مرجع سابق ، ص 215.

وكثير من الحمامات كانت تتحول الى مغنى ومرقص ومعرض للزينات والجواهر ، وأسواق للبيع والشراء ...وغالبا ما كانت النساء تخرج في شهر رمضان ومعهن أطفالهن ، كما كن يخرجن يوم العيد لزيارة المقابر والجيران والأقارب ، وفي يوم العيد كن يتخذن الزينة ويلبسن الجديد من الثياب...ولكن الفرنسيات لا يعجبهن كل ذلك ، انهن يردن المرأة المسلمة ان تفعل ما يفعلنه والا فهي متخلفة ومسكينة [1].

لكن المرأة الجزائرية امتازت بالسجايا الطيبة فهي محافظة أتم المحافظة على التقاليد القديمة والعادات التي ورثتها عن الأسلاف ، متمسكة بدينها ، كما أنها زوجة أمينة صبورة ، تشاطر زوجها آلام الحياة دون زجع ، ولهن آداب وفضائل جعلت الحياة المنزلية أطيب حياة [2]

لقد عاشت المرأة الجزائرية حياة سيّئة وبائسة ، عانت من خلالها الفقر والمرض والجهل ، وليس هذا فقط بل تعرضت الى أبشع أنواع العذاب والقهر من قبل المستعمر الغاشم ، ورغم كل ذلك استطاعت تحمل هذه الاعباء ، واثبتت قدرتها على الصبر والتحمل ، لكن المستعمر الغاشم لم يكتفي بهذا القدر بل تعداه الى استهداف المرأة كوسيلة للغزو الثقافي ، فما ان استقرّ الحال بالفرنسيين في الجزائر ، حتى شرعوا في ادخال المرأة المسلمة الجزائرية ضمن مخطّطاتهم الاستعمارية الرامية إلى البقاء والتوسّع والسيطرة ، فكانت تمثّل بالنسبة لهم ، وسيلة اختراق المجتمع الجزائري المسلم ، وأصبحت هدفًا لمخططات الاستعمار وحملات التنصير والغزو الفكري ، فكيف ستكون وضعية المرأة في ضل الغزو الثقافي الاستعماري ؟

[1]– سعد الله ، مرجع سابق ،ج 6، ص 344.

[2]– أحمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ،مرجع سابق ، ص 362.

أولا / المرأة الجزائرية ضمن المخطط الثقافي للاستعمار الفرنسي:

واجه المجتمع الجزائري غداة الاحتلال اعتداء عسكريا ، وآخر ثقافي ، فقد استهدف الاستعمار منذ بداية الاحتلال ضرب العناصر الاساسية المحددة لثقافة الشعب الجزائري ، وعلى رأسها الاسلام واللغة العربية المرتبطة به،وكان الاستعمار يرى انه بتحطيمها ستتحطم كل البنية الثقافية الشاملة الناتجة عنهما[1] .

لذا سعى الى خلق ما اعتقده بعض مفكري الاحتلال ابداع العبقرية الفرنسية ، حيث كتب أحدهم:" نحن بصدد خلق أمة في الجزائر ، أمة لن تكون متمدينة بدوننا ، وفي اليوم الذي احتللنا فيه هذا البلد وطردنا منه الحكومة الوحشية التي كانت تظطهده ، تعهدنا بمصائر هذه الشعوب ، واتخذنا على انفسنا نحوها عهد تمكينهم من الانوار ، والمعارف ، والعقائد التي تفضلت الحكمة الالهية بمنحنا اياها ،كل ذلك بفضل دولة متحضرة ." [2]وقد واجه المجتمع الجزائري في عمومه هذا التحدي الثقافي الاستعماري بالرفض، والانغلاق التام على نفسه [3]

وقد أدرك الفرنسيون منذ البداية أنهم لن ينجحوا في استعمار الجزائريين فكرياً وثقافيًا _ بعدما تمكّنوا من استعبادهم بالقوة العسكرية ، لذلك سعوا لانتهاج سياسة تقوم على استهداف المرأة الجزائرية المسلمة للوصول إلى الهدف المنشود ، وهذا بالنظر إلى مكانة ودور المرأة وسط العائلية الجزائرية ، وانطلقوا من تفسيراتهم لوضع المرأة المسلمة .

وكانت معضم كتاباتهم ذات الخلفية الاستعمارية ترجع ما آل اليه وضعها الى تعاليم الاسلام للطعن فيها ، والمرأة في نضرهم قدرية غارقة في الخرافات ، ومستسلمة راضية بحكم القضاء عليها ، وهي ضحية التخلف و الأمية ، وهي لعبة الرجل الذي كان يشتريها بنقوده كما يشتري البهائم والبضائع (هكذا كانوا يسمون المهر) ، وهي في نظرهم ضحيّة التّعاليم الدينية القاسية، التي تجعل الرّجل قوّاما عليها ، وأباح تعدد الزوجات وجعل الطلاق بيد الرجل وحده ، فضلا عن فريضة الحجاب والعفاف ، وقد اعتبر هؤلاء الكتّاب المجتمع الجزائري مجتمعا

[1] – رابح لونيسي:"**العلاقة الجدلية بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية في العهد الاستعماري وانعكاساتها**"، دورية كان التاريخية، ، دار ناشري ، الكويت ، السنة الخامسة ، ع.15، مارس 2012 ، ص 17 .

[2] – نبيل احمد بلاسى ، مرجع سابق ، ص 34 .

[3] – ذكر عموم المجتمع يعني ان هناك من تماشى مع هذا التحدي الثقافي وكان من دعاة التبني التام للنموذج الفرنسي ، وهناك من دعى الى التبني النسبي له ، وللمزيد حول الموضوع انظر : رابح لونيسي مرجع سابق ، ص – ص ،17–19 ،

رُجوليًا بامتياز ، لا دور للنساء فيه ، ونحن ندرك أنّ الغرض من مثل هذه الأطروحات، كان محاولة تشويه صورة الفرد الجزائري المسلم ، وتشويه الدين الإسلامي الحنيف، وعليه فإنّ وضع المرأة المسلمة السيئ —حسب الفرنسيين– سببه أحكام الدين الإسلامي أولا، والمجتمع الرجالي ثانيا، وبالتالي فلا يمكن تغيير حال المجتمع إلا بتغيير حال المرأة فيه[1] .

وانطلاقا من هذه الصورة عن المرأة جاءت المحاولات لانقادها ، والدخول الى عقلها وعاطفتها وذوقها ، ولا يكفي وصف حال المرأة العربية المسلمة ، بل لا بد من ارسال النساء الاوروبيات اليها والاطلاع على احوالها ، ومعرفة رغائبها ونمط تفكيرها ، ومحاولة اخراجها من وضعها المتردي .

ومن النساء الاروبيات من حملت القلم لوصف تلك الحال ، وفيهن من حملن الصليب ليعطي بركاته للمرأة المسلمة ، ومنهن من فتحت ورشة لاستقبال البنات المسلمات بعد اقناع امهاتهن بان لا خوف عليهن من الاذى ، ولا من التنصير ، ولا من التبرج ، وبدأت عملية التعرف والاتصال ، ومحاولات تكسير الحواجز ، بين (المتقدمات) السافرات المتحررات القادمات من اوروبا ، وبين المتخلفات القابعات المغلوبات على امرهن في الجزائر[2]، وقد عملت الكتابات الفرنسية التي اهتمت بالمرأة و بالشأن الاجتماعي للأهالي، على ضرب مواطن القوة في الكيان الجزائري المتماسك ، فكانت المرأة هدفا رئيسًا ، كونها الام التي تربي الاجيال الصاعدة .

ويذكر شارل روبير قارنيي (C.R Garnier) في كتابه "غزو الاسلام عن طريق النساء "Laconquête de l’islam par les femmes" أن:" أهمية الأم داخل الأسرة عند المسلمين عظيمة جدا، فهي التي تتولّى الأطفال، ذكورا وإناث ...هي التي تربّيهم وتعلمهم ، لذلك يجب علينا أن نبثّ الروح الفرنسية بداخل أمهات العائلات المسلمة، حتى تتحول هذه الروحانية العذراء لأطفالهن الصغار" ، ويضيف متسائلا عن من بإمكانه الاقتراب من النساء وتثقيفهن ؟ ليجيب بعدها عن تساؤله قائلا : " أنتن فقط سيداتي الفرنسيات قادرات على تنفيذ هذه المهمة. لأنكن تمتلكن الشجاعة والكرم و الإخلاص ، أنتن فقط اللواتي باستطاعتكن التأثير

[1]– أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج6، ص337.

[2]– نفسه ، ص 338 .

على أخواتكن التعيسات بسبب الإسلام ، وإيجاد الطريق إلى قلوبهن ، وجعلهن مرتبطات بكن بفضل أعمالكن الخيرة" ، لذا رأى المستعمر ان عملية التغيير لن تتم مالم يبدأ بالمرأة فيسلخها عن أصولها ، وهكذا جاءت البعثات التبشيرية ، وهذه الأهداف كان قد رسمها الكاردينال "لافيجري"[1] منذ سنة 1869م، ضمن خطته لتنصير الشعب الجزائري،إذ كانت النساء الأهليات هنّ الهدف الأوّل في خطته .[2]

إذن فقد عمل الاحتلال على تشويه صورة المرأة الأهلية والحطّ من قيمتها، ضمن سياسته تجاه المجتمع الجزائري، وقد استهدف المرأة لاختراق كيان الأسرة المسلمة ، من خلال سياسة التنصير وطمس الهوية العربية الاسلامية ، فكيف ستأثر هذه السياسة على المرأة الجزائرية المسلمة ؟

ثانيا / المرأة الجزائرية المسلمة وسياسة التنصير :

لقد كان للجانب الديني في احتلال الجزائر أثر كبير على الحملة ومنظميها ، فمن الاسباب العامة التي دعت فرنسا للغزو دعواها انقاض المسيحية والمسيحيين من (القراصنة)الجزائريين ، والقضاء على عش القرصنة _ الجزائر حسب تعبيرهم _ وكانت ترى أن في احتلالها للجزائر ستسدي خدمة كبيرة الى العالم المسيحي وشعوب البحر المتوسط،وقد عبر كليمون تونير،وزير الحربية في تقرير قدمه للملك شارل العاشر يوم 14 أكتوبر 1827 عن آماله في تنصير الجزائر قائلا:"يمكن لنا في المستقبل أن نكون سعداء ونحن نمدن الأهالي ونجعلهم مسيحيين"،وأكد الملك شارل العاشر ذلك حينما خاطب كل أساقفة المملكة قائلا لهم"إن مرادنا أن تقيموا صلوات في جميع الكنائس وتطلبوا من الله أن يحمي الراية ويعطينا النصر"[3].

---

[1]- **شارل لافجري** : ولد في بايون سنة 1825 ،كان استاذا للتاريخ الديني بالكلية الدينية بباريس،وقد عمل على توسيع النشاط الكاثوليكي في المشرق حتى قيل ان الحكومة الفرنسية عجزت عن الحد من نشاطه الديني هناك،وقد كان قسا في مدينة نانسي بفرنسا ، وقد عرفه ماكماهون عندما كان قائدا عسكريا في هذه المنطقة،وربط معه علاقات ودية ، وقد اصبح لافجري اسقفا للجزائر باقتراح من ماكماهون ، ووصل الى الجزائر أثناء المجاعة التي حلت بها . أنظر : ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ،ج 6 ، مرجع سابق ، ص119.

[2]Naima Kitouni-dahmani.op.cit.p42_ 43

[3]- خديجة بقطاش ، " **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830 / 1871** " ، منشورات دحلب ، الجزائر ، 2007 ، ص 15.

وقد اصطحب قائد الحملة الفرنسية 'الجنرال ديبرمون' معه ستة عشر قسيسا رافقوا الجيش الفرنسي، وصرّح عندما سقطت مدينة الجزائر ودخلها منتصرا لهؤلاء القساوسة: " إنّكم أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، ولنأمل أن تينع قريبا الحضارة التي انطفأت في هذه الربوع"، وأمر في اليوم الموالي للاحتلال بوضع علامة الصليب على أعلى مبنى بالمدينة، كما أمر بتحويل الجوامع إلى كنائس وإلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية .[1]

لقد قاوم الشعب الجزائري الاحتلال بكل قوة ودفاع باستماتة عن مقومات دينه الذي مُسّ في الصميم ، لذا كانت المشاريع التنصيرية تستهدف النساء والأطفال قبل غيرهم ، لعلمهم بضعف هذه المخلوقات، كما استغلوا فاقة واحتياج المرأة الجزائرية وبؤسها الاجتماعي ، لتمرير رسالتهم ، وقد ازدادت حملات التنصير وبلغت ذروتها في عهد الكاردنال لافجري، حيث شن حملة تنصير واسعة عن طريق جمعية الآباء البيض ، وما زاد من قوة انتشارها تفشي الامراض والاوبئة والمجاعات في الفترة ما بين 1868/1867،والتي كانت كنتيجة للأعمال الشنيعة التي قامت بها فرنسا مخلفة أزمات بشرية واقتصادية حادة استغلها المبشرون لتحقيق أهدافهم ، فقد كان الكاردينال لافيجري حينما يطوف الأنحاء التي فتكت بها المجاعة والأمراض يحمل الصليب في يمينه والخبز والدواء في شماله ، بذريعة مساعدة الشعب [2]، ولما أدرك 'الكاردينال لافيجري' صعوبة التنصير وسط الكبار، ركّز جهوده على الأيتام الصغار من الجنسين، سيما وأنّه في هذه المرحلة العمرية يمكن غرس مبادئ المسيحية عن طريق التعليم ، فأعلن عن تبنيه للأطفال الأيتام في مطوية نشرت بمختلف الجرائد بالجزائر، وقرر إبقاء الشبّان بابن عكنون لتكوينهم في ميدان الفلاحة، وتسليم البنات للراهبات لتكوينهن في أعمال الحقل والمنزل، وكانت نية 'لافيجري' في هذا الخصوص إيجاد نواة من العرب المسيحيين الذين سيعملون من أجل خدمة الاستعمار الفرنسي [3]. ولم ينس 'لافيجري' مقام المرأة في الأسرة، فوجّه اهتمامه للتأثير عليها؛ فالمرأة في نظره مدار الحياة الاجتماعية والوصول إليها وصول إلى

---

[1]- شاوش حباسي ، "**من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1962/1830**" ، دار هومة،الجزائر (د.ت)،ص12.

[2]- رابح تركي ، "**الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر** " ، [م.و.ك] ،الجزائر ، ط.5 ، 2001 ، ص 68 .

[3]- خديجة بقطاش ، مرجع سابق ، ص 115 .

الأسرة كلها، ولهذا أنشأ فرقة الأخوات البيض[1] التي حمّلها مسؤولية التبشير في الوسط النسائي ، عن طريق التطبيب والتعليم والخدمات الخيرية [2]،بهدف تنصير المرأة الجزائرية ، لانها اذا تنصّرت اعتنق أبناؤها كذلك الديانة المسيحية لأنها المدرسة الأولى للطفل ، والمؤثر الأكبر في الأسرة على تربية الأطفال وتوجيههم حاضرا ومستقبلا، ويوجد سبب آخر لتكوين معلمات مبشّرات، هو استحالة اتصال المبشرين الذكور بالمرأة، نظرا لاصطدامهم بالعادات والتقاليد التي تحرّم على المرأة المسلمة التحدّث إلى الأجانب عنها من الرجال، فكان لزاما أن تؤدّي هذه المهمة امرأة مثلها، لاستمالتها إلى المسيحية وتقريبها من الإنجيل، كما كان هناك بُعد ثالث لتكوين المعلمات المبشّرات، وهو إعدادهن للزواج من المتنصّر الجزائري، ومن جهة أخرى إعداد قاعدة مسيحية في هذه البلاد ، وهو ما يرمي اليه المبشرون في آخر المطاف[3].

ولا تخفى هنا أهمية توضيف الجانب الطبي والصحي لخدمة الحملات التبشيرية، لما له من دور في المنفعة الإنسانية وحتى النفسية عند خدمة المرأة المسلمة في المجال الطبي، وعليه تم توظيف الراهبات اللائي يمكن قبولهن في البيوت، وباستطاعتهن أيضا توسيع حملة التلقيح، غير أنّ عدد الراهبات كان ناقصا، بحيث تم احتكارهن بسرعة من طرف مجتمع المستوطنين الفرنسيين[4] .

ولا يمكن اغفال دور التعليم كوسيلة للتبشير (التعليم التبشيري) ، حيث انتشرت المدارس الدينية، لاسيما في منطقة القبائل، وتحديدا بالبلديات المختلطة، وكذلك في مدارس مخصصة للبنات فقط، مثال ذلك مدرسة ابن إسماعيل بالبلدية المختلطة ذراع الميزان، التي كانت تضم 65 تلميذة ، ومدرسة أودهية للبنات ببلدية فورناسيونال (الأربعاء ناث إيراثن)، التي ضمّت 25 تلميذة ، ولو أنّ الوثائق الأرشيفية الفرنسية المتعلقة بموضوع "التعليم التبشيري" تكاد تتّفق

---

[1]- **جمعية الأخوات البيض** : جاءت تبعا لجمعية الآباء البيض وهي من انشط البعثات التبشيرية في الجزائر ،التي اسسها الكاردينال لافجري يوم 10 ماي 1867، ليلحق بها في سبتمبر من نفس السنة جمعية الأخوات البيض لتنشيط حملة التنصير الوسط النسائي ، ويمكن اعتبار تأسيس هذه الجمعيات انطلاقة كبيرة في حملات التنصير ، انظر: خديجة بقطاش،مرجع سابق ، ص_ص ، 129_130.

[2]- خديجة بقطاش ، مرجع سابق ، ص 129 .

[3]- محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ، ص 174.

[4]- ايفون توران ، "**المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة ، المدارس والمؤسسات الطبية والدين 1830/1880**" ، تر: محمد عبد الكريم بوزغلة ، دار القصبة ، الجزائر ،2005، ص.ص378 .379 .

على أنّه لم يعرف تطوّرا ذا شأن، وتعود أسباب ذلك إلى الصعوبات التي لقيتها المبشّرات وكل ما استطعن تقديمه للتلميذات وأغلبهن يتيمات، لا يعدو أن يكون مبادئ الحساب والقراءة والخط، وذلك في نطاق ضيق وحسب ما يسمح به الوقت المتوفر... ويتّضح لنا أنّ المبشرات كن يركّزن على فنون التدبير المنزلي والأشغال الحرفية، ويعود الاهتمام بهذه الجوانب إلى الأسباب التالية :

1- صُعوبة إقناع الجزائريين بأن يوكلوا مهمة تربية بناتهم إلى المبشرات.

2- لم يكن التعليم هدفا في حدّ ذاته، بل الهدف هو العمل على تحقيق الأغراض التنصيرية.

3- إنّ تلقين الفتيات الجزائريات فنون التدبير المنزلي يجعل أولياءهن _ والى حد ما _ قد لا يمانعون من ان ترتاد بناتهم المدارس التبشيرية ، علما بأن الأسرة الجزائرية تحرص على تعليم البنت كثيرا من الحرف وشئون البيت قبل الزواج ،كما أن نتائج التعليم المهني تظهر بسرعة، مما يجعل الأسر الجزائرية تتفاءل خيرا بما يمكن لبناتهم تعلم أشغال الإبرة والحياكة وغيرها .

4- تكوين ربات بيوت يحسنّ إدارة شؤونهن المنزلية، وإعدادهن كزوجات متنصرات، يساهمن في تلقين أطفالهن دين وثقافة المستعمر، وهو ما يهدف إليه التعليم التبشيري بشكل عام [1].

وهناك من النساء اللاتي اثرت عليهن حملات التنصير ، واخترن الانفصال عن دين اجدادهن والبقاء على ردتهن ، وفي هذا الصدد يذكر ابو القاسم سعد الله ،فضيحة عائشة بنت محمد وتهريبها وتنصيرها، وتعود وقائع قصتها الى انها كانت متزوجة زواجا شرعيا ، فطلقها زوجها طلاقا شرعيا ايضا ، وكان من المفروض ان تبقى في العدة عند أهلها ، ولكنها بقيت عند صديق لها يهودي ، وقيل انها خافت من عقاب اهلها ، فطالبت باعتناق المسيحية [2]، واستجاب لطلبها الجنرال دوفوارول الذي فتح باب التنصير بدعوى الحرية الدينية ، وأمر بحمايتها من اذى ذويها لها بعد التنصر ، فحصلت على العناية التامة ، وأخذت تتعلم مبادئ الديانة المسيحية ، ولما سمع القاضي السيد عبد العزيز احتج لدى الجنرال على هذه العملية ، وأراد مقابلة المرأة عله يردها الى دينها ، وأصر على اخذها بالقوة إذا ما رفضت ذلك ، وأمام هذه الوضعية أرسل دوفوارول بعض حرسه لحماية المرأة ، فاتفق القاضي والمفتي على إيقاف

[1]- محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ، ص.ص 141.139 .

[2]- ابو القاسم سعد الله ، "**الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج1، ص 81 .

العمل إحتجاجا على هذا التشجيع للمسيحية ، فقابل دوفوارول هذا الحتجاج بطردهما من الوضيفة وعين مكانهما اشخاص آخرين.[1]

ورغم المصاريف والجهود الاستعمارية في حملات التنصير نجد أن المرأة الجزائرية عموما استطاعت الحفاظ على أحد أهمّ مقومات شخصيتها العربية الإسلامية، ألا وهو الدّين الإسلامي، كما تمسّكت بتقاليدها وعاداتها ، وبانتمائها الحضاري للأمة العربية ، أما النساء المتنصّرات فلم يجدن من المجتمع الجزائري ، شأنهن شأن الرجال المتنصرين ، إلا النبذ والعزل ووقف كل أشكال التعامل معهم ، بل وصل الأمر إلى حد الاعتداء عليهم ومحاولة قتلهم في بعض الأحيان من طرف أفراد قبيلتهم، باعتبار أنّ المتنصّر قد جلب العار لهم ودنّس شرف قبيلته ، وقد كان لهذه المعاملة أثر كبير في إضعاف حملة التنصير ، حيث وجدت الدعاية المسيحية عقبة لا يمكنها تخطيها ، تمثلت في إرتباط الفرد الى العائلة والعائلة الى القرية ، فالفرد أو العائلة التي تنصلت من الاسلام عليها أن تغادر البلاد طواعية أو بالقوة[2].

ثالثا / المرأة الجزائرية وسياسة التعليم الفرنسية :

إن أول عمل أقدم عليه الإحتلال الفرنسي بالجزائر، هو إستيلاؤه على المراكز الثقافية والمدارس والمساجد والزوايا، ليحولهم إلى كنائس وثكنات لجنوده[3] ، سعيا منه لتطبيق سياسة التجهيل لأنه يعلم أن الأمة إذا تعلمت قاومت الاستعمار ولم ترضخ لقيوده وسعت السعي الحثيث للتخلص منه ، لذا تجاهلت الحكومه الفرنسية في أول أمرها قضية التعليم ، ولم تكن مشتغله الا بإفناء العنصر الجزائري ، وتحطيم قواه وإخماد حركاته [4].

ومادام المحتلون الفرنسيون قد اتبعو سياسة التجهيل نحو الجزائريين فلا ننتظر منهم أن يخصوا البنات بالتعليم دون البنين أو أن يسووا بينهم ، ومع ذلك نلاحظ أنه عند البدء في نشر التعليم الفرنسي كان التركيز على البنين دون البنات [5] ، ولم يفتح الفرنسيون مدرسة رسمية

[1]– خديجة بقطاش ، مرجع سابق ، ص 36 .

[2]– محمد الطاهر وعلي ، مرجع سابق ، ص ص213_214 .

[3]–قريشي محمد ، مرجع سابق ، ص116 .

[4]–أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مصدر سابق ، ص140 .

[5]–ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص440 .

للبنات في البداية وانما تركوا بعض المغامرات الفرنسيات يقمن بذلك ثم اعترفوا بجهودهن ، وقدموا لهن التسهيلات .

ومن هؤلاء المغامرات السيدة أليكس[1] التي أنشأت مدرسة صغيرة لتعليم البنات المسلمات الحضارة واللغة الفرنسية [2]، وشيئا فشيئا بدأ يظهر اسم الجزائريات ، فكان اسم السيدة ماحي سنة 1853 وهي سيدة كانت تعطي دروسا في التوليد ، وقد نجح ثمانية من أحد عشر وضفن لهذا الغرض ، وفي سنة 1856 ، حصلت الفتاة نفيسة بنت علي ، وكانت تلميذة في مدرسة السيدة أليكس على المرتبة الأولى في ميدان اللغة الفرنسية والطرز .

والجدير بالذكر أن تحفظ الجزائريين من التعليم الفرنسي في البداية كان خوفا على مصير أبنائهم جميعا ، ولا سيما البنات، ولعل هذا الموقف كان من بين الأسباب في تأخير دخول البنت الى المدرسة [3]، ولم يخفي مدير التربية "جون مير" (John Mir) سياسة فرنسا التعليمية المتجاهلة لحق الإناث في التعلّم بقوله: "عندما أتكلم عن الأطفال أقصد الذكور فقط،لأنه لم يخطر على بالنا أبدا فتح المدارس للبنات المسلمات..." [4]

لقد كان التعليم الرسمي بالنسبة للبنت نادرا ، بل يكاد يكون منعدما ، ويؤكد هذه الحقيقة 'مصطفى بن الخوجة' : "إن التعليم الابتدائي عند المسلمين خاص بأطفالهم دون بناتهم، وعند الفرنسيين يشمل أطفالهم وبناتهم..."، أما 'أحمد توفيق المدني' فيرى: "أنه ليس هناك أدنى اهتمام بأمر البنات المسلمات في الجزائر، ماعدا فئة قليلة وجدت مقاعد في المدارس الحكومية، ولكنّ هذه الأخيرة لا تلقنهنّ شيئا من العربية أو علوم الدين، لذا فكل البنات المسلمات مجبورات على الرضا بالجهل والأمية"[5].

---

[1]-**أليكس** : ولدت سنة 1804 ، وقد جاءت الى الجزائر هاربة بعد زواج فاشل ، وعاشت فيها باحثة عن لقمة العيش ، التي وجدتها في المشروع الذي يخدم بلادها وحضارتها من خلال تعليم البنات المسلمات والتسرب عن طريقهن الى المجتمع الجزائري . أنظر ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص ص 442 _ 443 .

[2]-نفسه ، ص443 .

[3]- ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج3 ، ص440 .

[4]- عبد القادر حلوش: **"سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر"**، دار الأمة، الجزائر، 2010 ،ص ، 143.

[5]- يمينة بشي ، مرجع سابق ، ص221 .

وقد سيطرت العادات والتقاليد البالية على عقلية العامة، وكانت سببا إلى جانب السياسة الفرنسية، في تراجع تعليم البنات وسيطرة الجهل وتدهور المستوى الثقافي للمرأة المسلمة، فتعليم هذه الأخيرة صار مع مرور الزمن فكرة ممنوعة اجتماعيا ومحرّمة دينيا من طرف بعض رجال الطرقية، إذ يرون أنّ تعليم الفتاة يؤديّ بها إلى الانحراف والفتنة [1]، ويمكن القول أنّ أغلبية المسلمين ، ماعدا قلّة من المولعين بالحداثة، رفضوا إرسال أطفالهم إلى المدرسة الفرنسية وظلوا متمسّكين بولائهم للمدرسة القرآنية .[2]

ولتنفيذ السياسة التعليمية الفرنسية أصدر المارشال راندون (Randon) وزير الحربية الفرنسي، مرسوما 14 جويلية 1850 ، ينص على تأسيس عشرة مدارس عربية فرنسية، ست للذكور(المادة 4)، وأربع للإناث(المادة 7)، في كل من الجزائر العاصمة ووهران وعنابة وقسنطينة ومستغانم والبليدة ... ، ويعطي المرسوم للحاكم العام حق تأسيس مدارس أخرى عندما يرى ذلك ضروريا ، وقد وصل عدد المدارس العربية الفرنسية في 1870م إلى 36 مدرسة بالجزائر كلها ، مع 1300 تلميذ ، منهم 50 إناثا .

ولهذا كان نصيب تعليم البنات الجزائريات شبه معدوم، فمن بين الأربع مدارس التي نصّ عليها مرسوم 1850م سالف الذكر ، لم تؤسس إلاّ مدرستين اثنتين في كل من الجزائر و قسنطينة، ثم حُوّلت مدرسة الجزائر العاصمة إلى معمل في سنة 1861م .[3]

ولما حاول الفرنسيون إحداث تغيير جذري في بنية المجتمع الجزائري بتعليم الفتاة الجزائرية المسلمة تعليما فرنسيا، وتربيتها وفق أسس التربية الفرنسية، بتلقينها أفكار ومبادئ الحضارة الغربية ، والهدف هو تحويلها عن عقيدتها وفصلها عن مجتمعها وعاداته وتقاليده، وهو الأمر الذي تفطّن له الأب الجزائري، رغم بساطة ثقافته، إلا أن وعيه بما يدور حوله كان كبيرا، فخشيته على تنصير بناته وتحويلهن عن دينهن، كانت لا تظاهيها خشية ، بل إن المجتمع الأهلي بأكمله كان يقف حائلا دون تربية الفتيات المسلمات تربية فرنسية وفي هذا الصدد

[1]- نفسه ، ص 223.

[2]- أجرون ، الجزائريون ...، مرجع سابق ، ص 954.

[3]- عبد القادر حلوش، مرجع سابق ، ص51.

تذكر "ايفون توران : "فمن المؤكد أنّ دراسة الفرنسية، تعتبر خطرا كبيرا بالنسبة لهؤلاء الفتيات... وإذا كنا نكتفي بأعمال يدوية، فإنّ المسلمين سيتوقفون على القول إننا نربي أطفالهم بحيث نسهل على أنفسنا الهيمنة عليهم" ، وعادة ما يكون رد فعله بخصوص هذه المسألة حادا وعنيفا [1]،

وقد أثار هذا الموقف سخط وتهجم بعض المؤرخين والكتاب الأجانب الذين راحوا يعللون أبعاد هذا الموقف الذي –حسب زعمهم– لا يتم سوى عن جهل هذا الشعب وتخلفه ، وفي الوقت ذاته حاولوا أن يبرزوا بوضوح في كتاباتهم الجهود المعتبرة التي بذلتها الدولة الفرنسية المستعمرة في سبيل تثقيف هذا الشعب وهذا بفضل الوسائل التي سخرتها لهذا الهدف ، كتأسيس بعض المدارس للبنات لتعليمهن بعض الصنائع ، ودفعها نفقات الأهل وإطعامهن مجانا ، وغيرها من الوسائل التي سخرتها لهذا الهدف، والمغريات التي توسلت بها لجلبهن...ويصرح 'ميليو' 'Milliot' أنه رغم هذه الجهود المبذولة فإن النتائج بالنسبة الى البنات خاصة كانت جد مخيبة ذلك أن الأهالي كانوا يرفضون ترك بناتهم لمواصلة الدراسة على عكس الذكور نظرا الى التقاليد التي كانت تعارض ذلك.

وقد جاء موقف الأهالي المعارضين للتعليم الفرنسي على وجه الخصوص بالنسبة الى البنت تحسبا وحيطة من إنحراف البنت ، أو انسلاخها عن المجتمع الجزائري المحافظ على عاداته وتقاليده[2] ، ثم إن سياسة فرنسا كانت تهدف الى سلخ المجتمع الجزائري عن هويته العربية الاسلامية ، فالمدارس الرسمية ذات البرنامج الفرنسي البحت ، كانت وحسب اعتراف كبار رجال السياسة والاساتذة ،تهدف الى تقريب الجزائريين من فرنسا حتى يسهل ابتلاعهم ويسهل ادماجهم[3] .

وتذكر "إيفون توران" ناقدة التعليم الفرنسي الهادف إلى الإدماج: "إنه محض وهم أن نعتقد أننا نعد لإصلاح هذا المجتمع، بأن نعلّم شابات المدن المسلمات القراءة والكتابة والحساب حسب مناهجنا... فبتربيتهن هكذا على الطريقة الأوربية نجعلهن غير صالحات للحياة العربية، إننا بذلك نحضّر خليلات للأوربيين وليس قطعًا زوجات للأهالي...وبعد اثني

[1]– إيفون توران ، مرجع سابق ، ص274 .

[2]– يمينة بشي ،مرجع سابق ،ص 222.

[3]– أحمد توفيق المدني ، هذه هي الجزائر ، مرجع سابق ، ص141 .

عشر عاما من اللجوء في المشغل، تتخرج الفتاة من هذا التّمهين مفرنسة تماما، لكن لتدخل العائلة العربية لا تريدها أو لا تكترث لها أبدا، فإلى أين تأوي إذن؟ في درب الرذيلة والفجور؛ كون أنّه بتربيتهن على الطريقة الأوربية، تركتموهن مسلمات، وبتلقينهن أفكارا وعادات وأماني سمحة في نفوس إخوانهن في الدين، فأنتم لم تفعلوا شيئا لفتح العائلة الأوربية لهن... أليست هذه إدانة لأحد وجوه الاندماج ؟"[1]

ورغم تردد الجزائريين أحيانا في ارسال أبنائهم وبناتهم الى المدرسة االفرنسية خوفا من أن تكون مركزا للتنصير ، الا اننا نجد بعض المطالب الجزائرية بخصوص تأسيس مدارس للبنات الجزائريات ، ففي سنة 1907 كتب أعيان مدينة عنابة عريضة طالبوا فيها بتأسيس مدرسة للبنات الجزائريات ، وكانت هذه العريضة تشمل على ثمانية مطالب تدور كلها حول تعليم الاناث ، وانتقلت هذه المطالب من المدن الرئيسية لتشمل المراكز الأقل أهمية ، ووصلت حتى الى الدواوير[2] .

والواقع أن تعليم البنات لم يحضى بالإهتمام الكافي من طرف السلطات الفرنسية ، فإلى غاية 1909م، لم يتجاوز عدد المدارس المخصصة لتعليم البنات 18 مدرسة، ضمت 3300 تلميذة، ويرى لويس ميليو أنّ أغلب البنات الملتحقات بالمدارس كنّ من اليتيمات اللّواتي كان أولياؤهن يرغبون في التخفيف من أعبائهن المالية ببعثهن إلى المدارس، ومع هذا فالجانب الفرنسي لم يقم بأي واجب حيال تثقيف البنات الجزائريات .

وقد جاء في تقرير أعده كولون (1914_1918)أن نسبة المتعلمات الجزائريات شهدت بعض الارتفاع في هذه الفترة بالذات (الحرب العالمية الأولى) رغم كون هذه الأعداد قليلة جدا مقارنة بعدد الاناث في الجزائر ، ويعود السبب في ذلك في فكرة مفادها ان الإدارة الفرنسية اهتمت بالتعليم النسوي سعيا منها لاستغلال البنات الجزائريات بتعليمهن الخياطة والنسيج قصد تنشيط هذه الصناعة لسد احتياجات الجنود من الملابس[3].

[1]- ايفون توران ، مرجع سابق ، ص 279.

[2]- عبد القادر حلوش، مرجع سابق ، ص220.

[3]- نفسه ، ص222.

رابعا / الطرقية المنحرفة وتأثيرها على المرأة الجزائرية :

تعتبر الطرق الصوفية [1] من أهم مكونات المجتمع الجزائري لفترة طويلة من الزمن، فالمؤرخون يتفقون على أنها بدأت في الانتشار في الجزائر، وكسب نفوذ اجتماعي لها فيها، بل أحيانا تعدى إلى النفوذ السياسي ابتداءا من القرن السادس عشر، ثم أخذت تنمو وتتسع حتى انتشرت على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والربع الأول من القرن التاسع عشر [2]، ولبعض الطرق الصوفية ميزة حضارية لا يستطيع أن ينكرها حتى المكابر ، تلك هي أنها استطاعت أن تحفظ الاسلام بهذه البلاد في عصور الجهل والظلمات وعمل رجالها الأولون على تأسيس الزوايا ، يرجعون فيها الضالين الى سواء السبيل ، ويقومون بتعليم الناشئة وبث العلم في صدور الرجال ، وكانت فوق ذلك ملجأ للعاجز وابن السبيل ، ولولا الجهود العظيمة لهذه الزوايا لما وجدت في البلاد أثرا للعربية ولا لعلوم الدين ، ولكن الكثير من الزوايا بعد موت مؤسسيها الأبرار انقلبت من معاهد علم واحسان وارشاد الى معاهد خرافات وأباطيل[3] ومع التخلف الحضاري الذي شهدته الأمة زاد انتشار الطرق الصوفية وتنوعت وتعددت حتى بلغت أعدادا كبيرة جدا ، حيث بلغ عددها في الجزائر وحدها الى 349 زاوية وقد وصل عدد أتباعها ومريديها الى حوالي 300 ألف تابع ومريد[4]، وبهذا العدد الهائل والتواجد المكثف استطاعت هذه الطرق أن تكسب نفوذا عظيما في أواسط الجزائريين[5]، وهي

---

[1] – **الطرق الصوفية** : التصوف هو العكوف على العبادة و الانقطاع إلى الله تعالى و الإعراض عن زخرف الدنيا و زينتها و الزهد فيها مما يقبل عليه الجمهور من لذة و مال و جاه و الانفراد عن الخلق و الخلوة في العبادة ، أما الطريقة فهي مجموعة من الشعارات والممارسات والأذكار التي قد تختلف فيها كل طريقة عن الأخرى ، وتسمى الطريقة أيضا وردا ، ويقال ورد أو دخل الطريقة على حد سواء ، على أن الداخل في الطريقة يأخذ الورد من الشيخ أو خليفته ، وعلى هذا يصبح الورد هو تعاليم الطريقة وعقيدتها أو مذهبها . أنظر : أبو القاسم سعد الله ، "تاريخ الجزائر الثقافي" ، مرجع سابق ، ج4 ، ص، ص9 ،17 .

[2] – نور الدين أبو لحية ، **"جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما"** ، ط1 ، دار علي بن زيد ، بسكرة _الجزائر ، 2015 ، ص 74.

[3] – أحمد توفيق المدني ، "كتاب الجزائر" ، مصدر سابق ،ص 376.

[4] – **المريد** : جاء في معجم المصطلحات الصوفية أن المريد هو من انقطع الى الله عن نظر واستبصار وتجرد عن ارادته ، اذ علم أنه ما يقع في الوجود الا ما يريده الله تعالى لا ما يريده غيره فيمحوا ارادته فلا يريد الا ما يريده الحق ، ويجب على المريد أن يتأدب لشيخه ، فإن لم يكن له شيخ فلا يفلح ابدا ، أنظر : عبد المنعم الحنفي ، **"معجم المصطلحات الصوفية"** ، ط.2 ، دار المسيرة ، بيروت ، 1987 ، ص 242.

[5] – رابح تركي ، الشيخ عبد الحميد ...مرجع سابق ، ص 124.

بذلك تشكل جزءا مهما من تاريخ الجزائر الديني والثقافي والاجتماعي، بل وحتى السياسي ، ولهذا نجد المستعمر الفرنسي قد أولاها أهمية كبرى، فأرشيفه يحتوي على تفاصيل كثيرة عن أعدادها وزواياها ومشايخها، بل حتى توجهاتها الروحية والفكرية[1] ، وقد رأى الفرنسيون ما مدى تأثير الطرق الصوفية على عامة الشعب ، ولكي تسيطر سلطات الاحتلال على الجماهير الشعبية أخضعت بعضهم لنفوذها[2]، وصخرتهم لخدمة مآربها في الجزائر وأغرقهم بالأموال لتجعل منهم مرصدا لبث الفكر التخذيري والمعتقدات الفاسدة ، فجعلتهم كأداة لتخذير الجزائريين عن الكفاح ونشر التواكل والكسل بينهم بفكرة أن الاستعمار في الجزائر هو من باب القضاء والقدر الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه مما يولد قابلية الشعب الجزائري للإستعمار[3].

فلم يكتفي الاستعمار الفرنسي إذن من أساليبه المتعددة لمحاولة محو الشخصية الجزائرية ، بل إنه أخذ في التسلل الى القيادات الدينية الجزائرية المسيطرة على قطاعات عريضة من أفراد الشعب الجزائري ومن أهمها الطرقية التي بدأت بداية حسنة على يد روادها الذين نشروا التصوف ، والرياضة الروحية ، والدعوة الإسلامية ، والتبشير بالاسلام بين غير المسلمين .

إلا أن معظم خلفائهم خلطوا الأمور وأكثروا من البدع وادعو صفات الألوهية أمام العامة من أتباعهم الذين اقتنعوا من أنهم قادرون على المنع والحرمان ، وقد أدى هذا الاتجاه المنحرف للطرقية الى إفساد الفطرة الاسلامية ، وتفكيك روح الأخوة الاسلامية والخضوع للاستعمار ، وقد استطاعت سياسة الاحتلال ان تكسب هؤلاء الى صفوفها معتبرة اياهم الممثلين الحقيقيين للإسلام في الجزائر ، فأصبحوا _ ولو دون إدراك _ آداة في خدمة مشروعها الهادف الى القضاء على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الأساسية[4] .

---

[1]- نور الدين أبو لحية ، مرجع سابق ، ص 74.

[2]- عبد الكريم بوصفصاف ، **"الفكر العربي الحديث والمعاصر _ محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجًا"**، ج. 2، دار الهدى، الجزائر،. 2005 ، ص ، 142.

[3]- تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس ، مرجع سابق ، ص 124.

[4]- تركي رابح ، التعليم القومي ...، مرجع سابق ، ص 122.

إنّ المرابطين[1] المنحرفين من خلال ظهورهم بمظهر كائنات اصطفاها الله لأداء مهام روحية استثنائية، ومزوّدة من لدنه بقوى خارقة لا يطولها العادي من البشر، وبتنصيب أنفسهم وسطاء بين المؤمنين وربهم، وبفرض مذهبهم كشرط ضروري لبلوغ المؤمنين السعادة الدنيوية، وكذا خلاصهم من الحياة الأخرى ؛ قد سعوا إلى تنظيم نوع من الدّين الشعبي[2] .

لقد مثلو من خلال شعاراتهم التي كانوا يصدرونها وسيلة من وسائل تبليد الحس الديني وتخدير الشعور القومي فمثلا شعار "اعتقد ولا تنتقد " الذي كان شائعا هو دعوة صريحة الى التخلي عن أعمال العقل ، وكذا شعار "سلم تسلم " فيه دعوة الى التسليم الأعمى بما يقوله شيخ الطريقة ، دون نقاش حتى يضمن السلامة في الآخرة ،وقد تطور هذا الى شعار سياسي اذ أصبح يستعمل في مجال الدعوى الى التسليم بما يأمر به الحكام الاستعماريون تجنبا لسخطهم وعقوباتهم.[3]

وممّا أدّعاه هؤلاء أنّ شيوخهم كانوا يعرُجُون إلى السماء ، وأنهم يجرون الشمس مع الملائكة والاجتماع مع الرسول صلى الله عليه وسلم في كل يقضة ، وأنهم يتصرفون في العلماء، ويستطيعون سلب العلم من كل من يغضبون عليه ، ويعبرون عن ذلك بقولهم : "العلماء مصابيح ونحن مراويح"[4].

والمرابط بوصفه شخصا ميتا يكتسي قبره أو ضريحه فضائله المقدسة عن طريق التحويل ، وهكذا يأتي الناس الى جواره بحثا عن البركات والإلهام ، والشفاء والعزاء ، وأسباب العيش والمصير الأفضل ، فيصبح القبر مكانا للحج .[5]

---

[1]- **المرابط** : كان لفظ المرابط يعني في الأصل الشخص التقي الذي يرابط في الصوامع المحصنة ثم تحول استعمال المعنى لينطبق في أن واحد على الولي الحي و الولي المتوفى و المعلم الذي يحوي ضريح الولي،أنظر: نوار خرخاشي نبيل،"**العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية1925/1954**" مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر، إش: العماري الطيب،جامعة محمد خيضر،بسكرة ، 2013 ، ص 28.

[2]- علي مراد ،"**الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925/1940**" : بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر. محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007 ، ص 330 .

[3]- زيلوخة بوقرة ،"**سوسولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين _نموذجا_**"مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2009 ، ص 100 .

[4]- عبد الكريم بوصفصاف، مرجع سابق ،ص ، 142 .

[5]- علي مراد ، مرجع سابق ،ص ، 73 .

ويذكر توفيق المدني بعض مظاهر البدع والخرافات في قوله : "...وآل أمر الكثير من هذه الزوايا والطرق الى إحداث وثنية في الاسلام ما أنزل الله بها من سلطان ، وأصبح شيخ الطريقة أو المرابط في كثير من النواحي يتصف بأوصاف الربوبية فهو الذي يعطي وهو الذي يمنع وهو الذي يقبض وهو الذي يبسط هو منبع كل خير ومصدر كل شر ، وترى بعض السفهاء يقسم لك بالله جهد ايمانه ليقنعك بأمرها فإن أنت استحلفته بشيخ طريقته كان الموت أهون عليه من أن يقسم به فاجرا ... وانبثت في عقول العامة من رجال ونسوة أفكارا مؤداها أن من ذبح دجاجة سوداء في اليوم المعين وفي المكان المعين فإنه يرزق ذرية ، ومن ذبح تيسا في موسم سيد فلتان فإنه ينال مالا ، ومن اشترى شمعة في وعدة الولي الفلاني فإنه ينال كل مرغوبه ، لذلك غشيت الدين غاشية منكرة من الأباطيل وأصبح دين عامة الجزائريين وان كان متينا مغلوثا بهذه البدع والأضاليل التي يحرص الكثير من رجال الطرق والزوايا على ابقائها وغرسها في القلوب لاستثمارها والانتفاع بها." [1]

ويصف علي مراد أسلوب الترهيب الذي ينتهجه هؤلاء للهيمنة على بسطاء الناس في قوله :"وقد لجأ بعض المرابطين الى أسلوب الترهيب للهيمنة على أتباعهم ، حيث كانوا يزعمون بأنهم قادرون على إصابتهم بالعاهات ، والتحكم في ازدهار عائلاتهم ، وعقم النساء والإناث ، وفقدان الحصاد ، ونذرهم بهذا التهديد الرهيب لأهوال الإحتضار الفضيع ! هذه التهديدات الرهيبة كانت تروع مخيال الناس البسطاء ، وتجبرهم عن طريق نوع من الإبتزاز الشيطاني على الطاعة العمياء ، ومن ثم يحق لنا القول أنه في كثير من الحالات يكون المرابط محل خشية لا محبة ."[2]

وقد استغل الاستعمار الفرنسي كل الأعمال التي كانت تقوم بها هذه الطرق لتحقيق أهدافه ، ومن أجل أن يحافظ على هذه الفائدة عمل على ترويج أفكار الطرق وترسيخ مفاهيمها في نفوس الناس ، وتعزيز مهابة رجالها عن طريق تزويدهم بالأموال لإقامة حفلاتهم وولائمهم الكبيرة ، وكذلك شجع على إتباع الخرافات والبدع التي كانت تنشرها ، كما سمح لأصحاب الخرافات والشعوذة بالقيام بأعمالهم من خلال السماح لهم بفتح المراكز الخاصة بذلك [3].

---

[1] – احمد توفيق المدني ، كتاب الجزائر ، مرجع سابق ،ص،ص ، 376،377 .

[2] – علي مراد ، مرجع سابق ، ص ، 76.

[3] – زيلوخة بوقرة ، مرجع سابق ،ص ، 100 .

وقد تأثرت المرأة بالخرافات والبدع لجهلها واعتقاداتها الخاطئة إتجاه الأولياء الصالحين،بزياراتها للأضرحة والقباب ونحوها واعتبار ذلك من العبادة والتقرب الى الله [1]،ومن آثار جهل المرأة وتخلفها أن صارت تستنجد"بسيدي عبد القادر"[2]عند المحن والمصائب ، وفي آلام المخاض تسرخ "يا سيدي عبد القادر" لاعتقادها أنه يدعمها ويخفف عنها آلام المخاض ، حتى المتسولون حول المساجد ، بالقرب من المدن والأسواق والشوارع ، لا يسألون الصدقات دون اشراك سيدي عبد القادر، وهم يهتفون بصيغ مختلفة أعطيني بحق سيدي عبد القادر ، ياأيها الذين يخشون الله وسيدي عبد القادر... [3].

---

[1]– أحمد مريوش ، **"مكانة المرأة في التراث الجزائري ما بين 1900/1954"** ،الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة الجزائرية ، ط2 ، [م.و.ب.ح.ث] ،دار هومة، 2007 ، (د.م) ، ص 79.

[2]– وهي تقصد سيدي عبد القادر الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية. من كبار الزهاد والمتصوفين. ولد في جيلان وراء طبرستان 471هـ وانتقل إلى بغداد شابا، سنة 488 هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف وبرع في أساليب الوعظ، وتفقه،وسمع الحديث،وقرأ الادب واشتهر ، وكان يأكل من عمل يده ، وتصدر للتدريس والافتاء في بغداد سنة 528 هـ وتوفي بها ، له كتب ، منها " الغنية لطالب طريق الحق " – " الفتح الرباني " –"فتوح الغيب" ، أنظر : الزركلي ،" **الأعلام** " ، ط.15، دار العلم للملايين ، (د.م)، 2002 ، ج4 ، ص 47. وقد سعى الولي الصالح بجهوده لأصلاح الأمة واخراجها من ظلمات الجهل وكان يحذر من الوقوع في البدعة ، ومن أقواله في هذا رحمه الله :"اتبعوا ولا تبتدعوا وأطيعو ولا تمرقوا ووحدوا ولا تشركوا " وكان يحث على اتباع كتاب الله وسنة رسوله حيث يرى أن فتن الابتداع ظلمة ومصباحها الكتاب والسنة، فيقول رحمه الله : "أدخل الظلمة بالمصباح وهو: كتاب الله وسنة رسوله " ، أنظر : عبد القادر الجيلاني ، **"فتوح الغيب"**، تح:جمال الدين فالح الكيلاني ، ط1، مركز الاعلام العالمي ، بنغلاديش ، 2014 ، المقالة الثانية ص 10،والمقالة العاشرة ،ص21 ، كما كان يحذر من الشرك بالله فيقول رحمه الله :" أطلبو حوائجكم من الله عز وجل لا من غيره "ويقول أيضا :" احذر أن يرى الحق عز وجل في قلبك غيره فتنتهك ، احذر أن يرى فيك حب غيره أو رجاء غيره أو خوف غيره ...طهروا قلوبكم من غيره ، لا ترو الضرر والنفع الا ممن أنتم في داره وضيافته " ، أنظر : علي بن يوسف الشطنوفي ، **"بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الضيخ عبد القادر الكيلاني1077/1165"** تح : جمال الدين فلاح الكيلاني ، ط.2 ، المنظمة المغربية للتربية والثقافة ،المغرب، 2013 ص، ص ، 378 ،385 .وعن وصول هذه الطريق الى الجزائر يذكر أبو القاسم سعد الله أن أنها وفدت إلى الجزائر عن طريق أحد المتجولين الذي أدخلها التراب الجزائري بعد عودته من أداء مناسك الحج "سنة 1200 هـ وأول من أسس فرعا لها مصطفى بن المختار الغريسي في منطقة معسكر. وكانت موجودة في مختلف المدن ولها زوايا وأضرحة، وقباب ومساجد في الجزائر وتلمسان وقسنطينة وبجاية وغيرها ولها أوقاف كثيرة كانت ترسل مع الحجاج إلى الزاوية الأم بغداد،أنظر: أبو القاسم سعد الله،تاريخ الجزائر الثقافي،مرجع سابق،ج4 ،ص43. في حين هناك من يذهب الى أن هذه الطريقة دخلت عن طريق الشيخ سيدي أبي مدين الغوث(1126/1198م) دفين تلمسان والمتوفي سنة 593 هـ فهو الذي أدخلها بعد أن تتلمذ على يد شيخها وكان ذلك بعد عودته من البقاع المقدسة ،أنظر:عبد الله عبد الرزاق إبراهيم ، **"الطرق الصوفية في القارة الإفريقية " ط1** ،دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ، 2004 ، ص32 . وهناك بعض الآراء تقول أن الطريقة وفدت إلى الجزائر عن طريق شيخها الذي زار الجزائر، أنظر: بن لباد الغالي ،**"الزرايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية"**،رسالة دكتوراء في الأنثروبولوجيا،جامعة أبة بكر بلقايد ،كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية، 2009 ،وممن نبغ من أتباع الطريقة القادرية في الجزائر الأمير عبد القادر الجزائري،وكان أبوه أيضا من أتباعها وزارا معا ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني ببغداد أين أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمود الكيلاني القادري ، وبعد عودتهما إلى الجزائر، تولى الأمير ووالده نشر الطريقة القادرية وبث الدعاة إلى الله فيها، وكان هؤلاء الدعاة وأولئك المريدون هم رجال الكفاح والجهاد المسلح ضد العدو، ، أنظر :بركات محمد مراد ، **"الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي"**دار النشر الالكتروني، (د.م) ، (د.ت)،ص59.

2_ Louis Rinn : **Marabouts et khouans**: **étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur , Alger,1884 , p.176.

وكانت النساء كثيرات التعلق بقبة سيدي عبد القادر ، ويعتقدون في الماء الجاري هناك عقائد خرافية ، كالبرء من بعض الأمراض ، وطلب الحمل ، وطرد الأرواح الشريرة ، وكانت في هذه القبة بئر يعتقد العامة أن سيدي عبد القادر الجيلاني حفرها عندما زار الجزائر ، ورغم أنه غير مدفون في هذه القبة ، اذ هو دفين بغداد، فإن في القبة ضريحا مغطى بتابوت كانت عليه الرايات والأعلام من كل صنف ولون وكان الناس يأتون الى قرب هذا التابوت ويجلسون على ركبهم ويدعون الله ويستغيثون بالشيخ.[1]

والواقع أن عددا لا يستهان به من المرابطين كانوا يعيشون في جو من التقوى ويقومون بالاعمال الخيرية دون ادعاء التصوف المثالي ودون تعاطي البدع خارج السنة المالكية الطاهرة التي كانوا يضطلعون بها بورع وبصدق ما وجدوا الى ذلك سبيلا[2].

ولا تزال البعض من تلك الزوايا الصالحة تؤدي دورها في نشر الثقافة العربية الاسلامية حتى اليوم ، مثل زاوية الهامل ، وزاوية ابن أبي داوود ، وغيرها من الزوايا الصالحة التي خصصت نشاطها العام لنشر العلم والثقافة والمحافظة على التراث العربي الاسلامي في الجزائر رغم الاضطهاد الاستعماري العنيف، كما أن بعض الطرق الصوفية كان لها دور عظيم في الجهاد ضد الاستعمار مثل الطريقة الرحمانية التي شارك قادتها في ثورة 1871/1870 ، والطريقة القادرية التابعة لأسرة الأمير عبد القادر[3] بطل المقاومة الجزائري .[4]

خامسا / مكانة المرأة في التراث الجزائري 1931/1903:

عمل الاحتلال على تشويه صورة المرأة الأهلية وتجهيلها والحطّ من قيمتها، ضمن سياسته اتجاه المجتمع الجزائري ،ورد السبب في تخلفها الى تعاليم الدين الاسلامي للطعن فيها ، مثل تعليم المرأة وتعدد الزوجات والطلاق والحجاب ، وقد أثار كل ذلك ردود فعل لدى المسلمين ،

---

[1]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج5 ، ص 132 .

[2]- علي مراد ، مرجع سابق ، ص ، 130.

[3] – **الأمير عبد القادر** :(1883/1807) ، عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى ابن محمد بن المختار الحسني الجزائري ، أمير مجاهد وشاعر أديب ، عالم صوفي ، ولد في القيطنة من قرى وهران بالغرب الجزائري ، وتعلم بها أدى فريضة الحج مع والده سنة 1241هـ، ثم زار بغداد ودمشق وعاد الى الجزائر ، وبعد استلاء فرنسا على الجزائر بثلاث سنوات 1833، بويع للقيادة والقيام بأمر الجهاد ، فنهض وقاتل الفرنسيين وخاض عددا من المعارك ضدهم ، مما دفع فرنسا لتوقيع معاهدة الصلح ، التي اغتنمها الأمير في الاصلاح الداخلي، فضرب نقودا سماها المحمدية وأقام مصانع للسلاح وملابس للجند ، ونقصت فرنسا المعاهدة سنة 1835م ، فاستمرت الحرب بين الطرفين حتى عام 1847،اين ضعف أمر الأمير بعد مهادنة السلطات الفرنسية السلطان المغربي عبد الرحمن بن الهاشم ، حيث حوصر الأمير فأوقف القتال في 21ديسمبر 1847 ، ونفي الى طولون ومنها الى أنبوزا ثم توجه الى سوريا حيث استقر بدمشق سنة الى أن توفي .أنظر : عادل نويهض، "**معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر** " ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت _لبنان ، 1980 ، ص103.

[4]- تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد ...، مرجع سابق ، ص ، 126.

فظهر بعض كتَّابهم لتوضيح الغامض وبيان الاوجه الشرعية والاجتماعية في قضايا المرأة سواء كان بمبادرة ذاتية أو جاءت كرد فعل عن كتابات أوروبية[1] .

ومن بين هذه الكتابات ما جاء لمواجهة البدع والخرافات والشعوذة التي جعلت من المرأة المسلمة فريسة سهلة نظرا لأوضاعها المزرية، فشكلت حركة تغيير دعت الى اخراج المرأة من الجهل والحرمان الذي تعانيه ، واعدادها إعدادا يليق بمكانتها في المجتمع إذ هي المدرسة الأولى لأطفالها ، ونحن لا يمكننا ادراج كل الكتابات التي تناولت قضايا المرأة ، بقدر ما نورد نماذج لأعلام جزائرية في هذا العصر اهتمت بموضوع المرأة .

لعل من أوائل الكتابات _ كما يذكر أبو القاسم سعد الله _ ما أجاب به الأمير عبد القادر سائله "دوماس" "Daumas"[2] عن المرأة المسلمة اثناء تواجده في الاسر بفرنسا ، وكانت العناصر الواردة في أسئلة "دوماس" تتعلق بعادات العرب والمسلمين، وتقاليدهم في الزواج ، ومقارنة حال المرأة العربية بالمرأة الأجنبية ، وقد أجاب الأمير عن كل هذه الأسئلة موضحا ومصححا جملة من المفاهيم الخاطئة، التي كانت ترسخ في أذهان الغربيين ، مستعيًنا في كل ذلك بالتوراة والإنجيل والمشاهد الواقعية ، ومعبرا في النهاية عن وجهة نظر الإسلام التي هي جوهر أفكاره واتجاهاته في هذا الشأن. فبين وجهة نظر العرب والمسلمين في زمنه في المرأة المسلمة طبقا لتعاليم الشرع الاسلامي ، وكان ذلك بعد أن كثر الاختلاط بين الفرنسيين والمسلمين من جهة ، وظهرت الافكار المسبقة وسوء الضن بالشريعة والمرأة من جهة أخرى ، وكونها مهملة ومهانة ، ونحو ذلك من المفهوم الخاطئ [3].

ومما جاء في هذا الحوار تساؤل دوماس عن الصداق ضنا منهم أن الرجل يشتري المرأة بماله وبذلك يحسبها ملكه ، ويجعلها بمثابة الأشياء التي تشترى [4] ، ومن جواب الأمير في هذا السياق " لو دفع الرجل للمرأة قناطير الذهب و الفضة لا يحسبها ملكه ولا يجعلها بمثابة

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج7 ،ص، ص182،181.

[2] – **"دوماس" "Daumas"** : جنرال من أكبر قادة الجيوش الفرنسية في الجزائر ، واشتهر بحروبه العظيمة ووقائعها الجسيمة مع الأمير عبد القادر ، وقد عين وكيلا بمعسكر ، وتعلم اللسان العربي واطلع على قضايا من أحوال أهل البلاد ، فكتب أسئلة تتعلق بذلك ، وبعثها الى الأمير وطلب الجواب عنها . أنظر : محمد بن عبد القادر الجزائري: "**تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**"، ج.2 ، منشورات ثالة ،الجزائر، 2007، ج2، ص161.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج7 ، ص 182.

[4] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، مصدر سابق ، ص162.

الشيء المشترى كما زعمتم ، وإنما يرى أن الفضل له عليها ، لأن الله فضل الذكر على الأنثى، فأول ما خلق الله الذكر ثم خلق الأنثى منه فالذكر أصل والمرأة فرع والأصل أشرف من الفرع..." [1]

أما سؤاله عن تعدد الزوجات في الاسلام وما يمكن أن ينجر عنه من ضرر في فساد العشرة ونزاع الورثة وقوة الغيرة ، فقد جاء في جواب الأمير عن ذلك : " ان الله تعالى خلق النساء لتكثير الأولاد وتفريقهم في أقطار البلاد ، ومن أراد تكثير الغلة ، يكثر المزارع ويجعلها أكثر من الحارث ، والله تعالى ما افترض على الرجل تزويج اربع نسوة ، وإنما افترض عليه سلامة الدين والكف عن الزنا ، فمن كانت سلامته في واحدة فهو أفضل ، ومن لم يسلم دينه بواحدة اذن له بأن يتزوج أكثر من واحدة ، فالله تعالى لا يأذن لعباده في فعل ما فيه ضرر فلو كان في فعل ما ذكرته ضرر ما فعله الأنبياء عليهم الصلاة والسلام " .[2]

وأما عن تساؤله حول احتجاب المرأة المسلمة ، فقد أجاب الأمير أن احتجاب المرأة المسلمة ليس إلا صوًنا لها عن الابتذال ومواطن الشبهات وصوًنا للمجتمع من فتنتها [3].

هذا بعض ما جاء في الحوار الذي دار بين الأمير وسائله دوماس وقد تضمنت الاسئلة والأجوبة بينهما حوالي25صفحة من كتاب"تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر"الذي ألفه محمد بن عبد القادر الجزائري ، وطبع بالاسكندرية سنة 1903[4]

---

[1] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، المصدر السابق ، ص163.

[2] – نفسه ، ص164.

[3] – نفسه ، ص173.

[4] – **محمد بن عبد القادر الجزائري** : هو الابن الأكبر للأمير عبد القادر ، ولد بالقطينة الواقعة على وادي الحمام بالقرب من مدينة معسكر بالغرب الجزائري سنة (1256هـ/ 1840م) ، عاش حياته في حضن أمه لأن والده كان مستغلا بالجهاد الى ديسمبر 1847 ، بقي محمد مع والديه خمس سنوات في سجون فرنسا ، ثم عدة سنوات ببروسا بالدولة العثمانية ، ثم استقر بهم المطاف بدمشق ، سنة 1855، وكانت ثقافته وتعليمه على يد أبيه وصهرهم مصطفى بن التهامي وبعض علماء دمشق ، كان رفيق والده عند السفر ، وموضع ثقته أثناء الحديث ، وقد حضي محمد لقب الباشا من السلطات العثمانية أنظر: أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق ، ج7 ،ص437.

وجملة الاسئلة 20 وكذلك الاجوبة [1]، ولعل أجوبة الأمير المذكروة هي التي أوحت الى ابنه محمد بالكتابة في الموضوع بعد أجوبة والده بخميسين سنة [2]، وقد قال الأمير محمد وهو يتحدث عن اجوبة ابيه:"وقد قصدنا بذكرها ازالة الاشكالات التي لم تزل أفكار الافرنج المتحاملة على دين الاسلام تخوض وتوجه الاعتراضات على المسلمين في تعاطيها" .[3]

ومن مؤلفاته في موضوع المرأة أيضا رسالة " كشف النقاب عن أسرار الاحتجاب"نشر بمصر ، ويعالج قضية أخذت حضا من الإهتمام والأدبيات في المشرق وفي المغرب ، ودخل بها موضوع المرأة والحجاب ، وقد رتب الرسالة على مقدمة ومطلبين ، فكانت المقدمة في بيان إحتجاب النساء في سالف الأمم _ ابتداء من قوم ثمود وابراهيم الخليل _ كما بين الفرق بين بعض الألفاض المستعملة في الحجاب ، وأما المطالب فأولها ينص على أن "احتجاب النساء من الأمور الممدوحة عقلا وشرعا" ، وجاء بالآيات التي تؤيد الستر والحجاب .

وثاني المطالب فيما يجب على المرأة ستره من أعضائها وزينتها وما يجوز لها ابداؤه ، كما عرف الزينة وأشكلاها ، أما المطلب الثالث ففي اعتبار ما يراه عورة لدى المرأة الحرة المسلمة ، ومن أهم ما جاء في الخاتمة هو حديث المؤلف عن أسرار الاحتجاب.

ومن رأيه أن منشأ احتجاب النساء هو الغيرة عليهن وصونهن من الفتن والشبهات ، ولكي يؤيد رأيه ويقنع معاصريه من المسلمين الذين قد تكون أثرت فيهم الدعوى الى نزع الحجاب ، ذكر المؤلف بعض أقوال الفرنسيين والانكليز في المراقص والملاهي ، عندهم وما أصاب المرأة من الاهانة والابتذال والفساد.[4]

ومن مؤلفاته أيضا "رسالة الفاروق والترياق في تعدد الزوجات والطلاق" طبع بالقاهرة سنة 1327هـ، وكان قد انتهى من تأليفه عام 1322هـ ، قسم هذه الرسالة الى مقدمة وبحثين ، وتتمة وخاتمة وكانت المقدمة في حكم التعدد وشرط العدل بين الزوجات ، والبحث الأول ذكر فيه الحكمة من التعدد ،وقد ذكر موجبات العدل والمساوات بين النساء والزوجات،واحترام حقوق المرأة ، وبين ميزاتها وامتيازاتها، أما المبحث الثاني فهو خاص بالطلاق وأسراره ، وخص

[1] – الأسئلة والأجوبة مفصلة في تحفة الزائر ، مصدر سابق ، ص_ص 161_ 185.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج7، ص183.

[3] – محمد بن عبد القادر الجزائري ، مصدر السابق ، ص185.

[4] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج7 ، ص191_192.

التتمة فيما اتفق عليه الائمة من أمور ، وتحدث في الخاتمة عن وصايا الأمهات لبناتهن عند الزواج.[1]

ويظهر مما سبق ان المؤلف رجل محافظ ، فقد أراد أن يساهم في موضوع المرأة ، ليدحظ الادعاءات الغربية التي ردت الأوضاع المزرية للمرأة المسلمة الى تعاليم الاسلام للطعن فيها ، وكانت ثقافته تشبه ثقافة أبيه ، وكانت نتيجة جهد شخصي وثمرة إحتكاك متواصل بوالده وبمجالس الأعيان والعلماء بدمشق ، ما ساعده على الإلمام بالعلوم اللغوية والإطلاع على العلوم الدينية .[2]

ومن الذين أدرجوا قضايا المرأة ضمن إهتماماتهم نذكر الشيخ عبد القادر المجاوي[3] ، الذي تأثر لحال المرأة الجزائرية إبان الحقبة الاستعمارية ، التي كانت تعاني الجهل والأمية ، وما زاد الأمر سوءا خضوعها للعادات البالية والأعراف الاجتماعية الفاسدة .

لذا دعى الى النهوض بها والأخذ بيدها لكي تلج أبواب المدارس فتأخذ نصيبها من التربية والمعارف وينبغي أن يكون تعليمها وافيا ومتكاملا ،حتى تقدر على أداء فريضتها في المجتمع على أكمل وجه [4]، لأن العلم الناقص يجعلها إمرأة متعالمة ناقصة في تكوينها ما ينعكس

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج7 ، المرجع السابق، ص193.

[2] – فارس كعوان ، **"المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830/ 1962"** ، اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر ، اش: عبد الكريم بوصفصاف ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2012 ، ص92.

[3] – **عبد القادر المجاوي(1913/1848)** : هو عبدُ القادر بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن المجاوي ، والمجاوي نسبة الى قبيلة مجاوة في الشمال الغربي للمغرب الأقصى ، مصلح تقليدي سلفي خطيب ، من كبار العلماء ، ولد بتلمسان ، وتعلم بها ، وبطنجة وبتطاوين ، أكمل دراسته بجامع القرويين بفاس ، وعاد الى الجزائر ، فعين مدرسا بجامع الكتاني بقسنطينة ، ثم بالمدرسة الكتانية ، ونقل الى مدينة الجزائر 1898 وولي التدريس في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية ، توفي بقسنطينة ، وله مؤلفات قيمة منها " إرشاد المتعلمين "،"واللمع في انكار البدع " ، "نزهة الطرف في المعاني والصرف" ، والعديد من الشروحات منها "شرح منظومة بن الغازي و"شواهد بن هشام"، وله كتب في الإقتصاد والقواعد الكلامية وعلم التوحيد ونحوها من المصادر الهامة التي لم تقدم بعد للمكتبة الجزائرية وضلت في طي النسيان ، أنظر : عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص_ص286_287.

[4] – عبد المجيد بن عدة ، **"دعوة عبد القادر المجاوي الى نهضة أصيلة وعصرية"** ،أعمال الملتقى الوطني بتلمسان حول الشيخ عبد القادر المجاوي ، أيام 27_28 نوفمبر 2011 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف ، ص44.

سلبا على تربية الأبناء ، وفي هذا يقول المجاوي : " ...فلئن تبقى المرأة جاهلة خير من أن تتعلم تعلما ناقصا ، وتربى تربية تافهة التي تضل باقية على سذاجتها الأولى..." [1].

ثم يعدد المجاوي سلبيات هذا التعليم الناقص قائلا : " ...التي تعلمت تعليما ناقصا ورأى أولياؤها إلا يعطوها من العلم سوى قراءة القرآن وكتابة أبجدهوز حاسبين أن ذلك القدر كاف وأنه يليق بها ، وأحوط في سلامة دينها وآدابها فإن هذه المرأة تصبح بهذا التعلم الناقص ذات عجب وعناد ونجاح، فلا تعود تصغي لمشورة من هو أعلم منها ، ولا تقف في افساد تربية ابنها وتدبير منزلها عند حد ، فتسيء الظن بزوجها وتغل يده على استثمار مالها وتدبير منزلها على غير ما تقتضيه قواعد الاقتصاد وأحوال الصحة ووسائل التطهير والنظافة ، وتحاول تربية أولادها فتخل بقوانين التربية " [2].

أما المرأة التي نالت حظا من العلوم والمعارف فإنها تسهم الى حد كبير في بناء البيت السعيد الذي تكون العلاقة فيه بين الأفراد قائمة على الوئام والانسجام وفي ذلك يقول المجاوي :" ...أما المرأة التي عرف أولياؤها كيف يعلمونها وكيف يجعلونها تستفيد من الذي تلقته فإنها إذا تزوجت فيا سعد زوجها بها ، وإذا رزقت أولادا فيا سعد أولادها من أجلها ، تعلمت القرآن والكتابة ، لكن لم تتعلمهما من أجلها لذاتها بل لتتوصل بهما الى درس أعلى ، وتحصيل أكثر فوائد قرأت القرآن بإمعان وتفهم ، فكانت تتناول بعض الآيات ، وتشرح معناها لأولادها شرحا مفيد غاية في السهولة والتقريب غرست في نفوس أولادها عظمة الله تعالى ، ووجوب خشيته واستمداد المعونة والتوفيق منه ..." .

وما دامت المرأة المتعلمة الواعية ربة بيت فإنها تشعر بالمسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها ، فتسعى بالتالي الى اكتساب المعارف من علم الصحة والأخلاق والتربية ، وذلك لتأمين الصحة النفسية والبدنية لأفراد العائلة وفي ذلك يقول على لسان هذه المرأة الواعية:"انما أكون سعيدة إذا كان زوجي وأولادي أصحاء الأجسام ولا تدوم الصحة لهم ما لم أكن أعلم بالأصول

[1] – عبد القادر المجاوي ، اللمع على نظم البدع ، ص 28 ، نقلا عن : يمينة بشي ، مرجع سابق ، ص229.

[2] – نفس المصدر، ص 28 نقلا عن : عبد المجيد بن عدة ، مرجع سابق ، ص45.

والقوانين التي قررها العلماء في حفظ الصحة،ثم مذا تكون فائدة الصحة إذا لم يقترن بها أخلاق حسنة وتربية فاضلة فمن ثم كان الواجب أن أجمع بين الفنين فن الصحة وفن التربية."[1]

وتسعى المرأة المتعلمة الى العناية أكثر بتربية ابنائها واعدادهم اعدادا جيدا للحياة،وذلك بالوقوف على دروسهم الأولى،وحثهم على النظافة وتعويدهم على الذهاب للمساجد ليتعودوا على الصلاة ، وفي هذا يقول الشيخ المجاوي:"...ثم إن هذه الفاضلة العارفة اذا كبر طفلها تنظر له معلما نصوحا ... وتحثه على التعليم بلطافة وتحذره من الأولاد المنهمكين ، وتبين له سوء عاقبتهم وعاقبة من يخالطهم ، وتعلمه كيفية النظافة ليتدرج بذلك الى معرفة الوضوء ويعتاد ذلك ، وتأمر أباه بأن يذهب به الى المسجد وقت الصلاة ليتعود الصلاة، ولا بأس بأن تعضه وتبين له المنافع من المضار فيتهذب الولد بسبب ذلك ..."[2]

والحقيقة أن اسلوب الشيخ المجاوي في دعوته لتعليم المرأة ، يعكس فكرة مفادها أن اصلاح المجتمع يبدأ بإصلاح المرأة لأنها المدرسة الأولى لأبنائها ، لذلك حث على تعليمها ماينفعها واعدادها اعدادا صحيحا للحياة لتنفع نفسها وأبناءها والمجتمع ككل .

ومن المصلحين الذين سلطوا الأضواء على المرأة الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة [3] دعى هذا المصلح الى ترقية المرأة الجزائرية ، وألف لذلك كتبا قيمة لا تزال في أمس الحاجة للدراسة والاستفادة منها وتوصيلها للقارئ ، ومن هذه المؤلفات كتاب "الإكتراث في حقوق الإناث" الذي طبع سنة 1895م ، وجاء هذا الكتاب كمبادرة هامة من صاحبه لإصلاح شؤون المرأة ، بعد أن رأى بن الخوجة العديد من مظاهر الإستبداد بحقوق النساء في بلاد

---

[1] – عبد القادر المجاوي ، اللمع على نظم البدع،المصدر السابق ، ص29 ، نقلا عن عبد المجيد بن عدة ، المرجع سابق ، ص 47.

[2] – نفس المصدر ،ص30،نقلا عن عبد المجيد بن عدة،المرجع السابق ،ص47.

[3] – **محمد بن مصطفى بن الخوجة** (1915/1865): محمد بن مصطفى بن محمد بن الخوجة الملقب بالكمال ، من الرواد الأوائل الذين اهتموا بحركة الاصلاح ، عالج في دعواه ومؤلفاته المسائل الإجتماعية كمحاربة الجهل ونبذ الخرافات ، وترقية وتعليم المرأة ، واعطائها حقوقها الكاملة التي شرعها الاسلام ، وله كتب قيمة منها "تنوير الأذهان" "الإكتراث في حقوق الإناث " "اللباب في أحكام الزينة والإحتجاب" ، وغيرها من الكتب الهامة ، وللمزيد أنظر : محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري ، **"اللباب في أحكام الزينة والإحتجاب"** ، تح :محمد الشايب شريف ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت _لبنان ، (د.ت) ص_ص 7_17.

القبائل ، حيث كانت تهضم حقوقهن باسم الأعراف والتقاليد المحلية من جهة ، وبدعم من السياسة الفرنسية من جهة أخرى ، وكل ذلك مخالف للشريعة الإسلامية كعدم توريث المرأة [1].

وقد تحدث مصطفى الكمال عن حالة المرأة المسلمة في العائلة ، وعن حقوقها وواجباتها ، والآداب التي تجب مراعاتها عند المسلمين وعلى من يرغب في معرفة ما عليه الأمة العربية من الأحوال المعنوية ، وقد انتصر المؤلف لمبدأ تعدد الزوجات ، ودافع عنه بدلائل مسلم بها ، وذكر ما يجب على الزوجين نحو بعضهما ، وبنى أفكارة على ما جاء في القرآن والسنة ، وقد نصح بعدم الطلاق إلا عند الضرورة القصوى ، كما أنه مدح العلم وذكر أنه واجب على الذكر والأنثى [2].

واعتبر أن نجاح الأسرة مرهون بتوعية وتعليم المرأة لترقيتها واخراجها من براثن الجهل وتنويرها بالمفاهيم والقيم الدينية الصحيحة وذلك بغية بناء مجتمع خال من الدجل والموبقات ، وقد أشار الى ذلك بقوله :"فقد بقيت النساء كأنهن لسن بمكلفات حتى صرن لا يفرقن بين الحلال والحرام ، وإنهن كالبهائم السارحة والأنعام ، وما ذلك إلا لجهلهن بالكتابة التي هي مفتاح العلوم لكل قاصد ..." [3]

كما أوضح بن الخوجة عواقب ونتائج ترك المرأة الجزائرية تتخبط في الجهل قائلا :" وبالجملة فإن جهل النساء ليهوي بهن في مهاوي مخيفة ويجرهن الى مفاسد كثيرة ، ويحملهن على الإعتقادات الفاسدة ، كإتخاذ أدوية للحمل ، وتمايم المحبة ، والتقرب الى الجن ، والإستغاثة بهم في الشدائد ، والتشاؤم بأشياء لا تملك نفعا ولا ضرا ، وزيارة الدجالين من رجال ونساء ، بقصد أن يسألنهن عما يتعلق بأمر الزواج والطلاق والحبل والانباء بالغيب ، وهذا من الكفر الصريح ، ولو كن متصفات بالعلم والفضائل لما أضعن أموالهن على أمثال ما ذكر ..." [4]

وقد حلل الكاتب أسباب ونتائج هذه الظاهرة السلبية قائلا :" ...ولكن لولا جهل الرجال وغباوتهم لما وصلت النساء الى هذه الدرجة من الجهل والزيغ والضلال كالإستفهام عن

---

[1] – أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص66.

[2] – ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع السابق ، ج7، ص47.

[3] – مصطفى بن الخوجة،"**الإكتراث في حقوق الإناث**"،مطبعة الجزائر، 1885،ص 73،نقلا عن أحمد مريوش،مرجع سابق،ص68 .

[4] – نفس المصدر ، ص_ص 91_92 ، نقلا عن يمينة بشي ، مرجع سابق ، ص224 .

المغيبات والاستشفاء والتبرك بأرباب الجنون والفسوق الفجور ، وتقديم النذور لهم من الذبائح والشموع والبخور مع أن ذلك ولو لضرائح الأولياء الكرام باطل وحرام بالإجماع..." [1]فابن الخوجة يرجع مسؤولية جهل المرأة الى الرجل لأنه المسؤول الأول عما يصدر عن المرأة من تصرفات جاهلة ، فقد رضي بجهلها ورضخ للعرف الإجتماعي السائد الذي يعتقد أن تعليم المرأة فيه فساد وخراب ، فكانت النتيجة خراب عليه _أي الرجل_ وعلى المجتمع ككل [2].

كما اهتم بن الخوجة أيضا بقضية السفور والحجاب ، وعالج الموضوع بحكمة وخصه بحيز معتبر وعالجه في كتابه "اللباب في أحكام الزينة واللباس والإحتجاب" الذي طبع في الجزائر سنة 1907، وقد فسر المؤلف الآيات القرآنية التي نصت على وجوب الاحتجاب ، وألزم المرأة بما دعا إليه الشرع الاسلامي في وضع اللباس ، وفي تعاطي الكثير من الأشغال حيث أن الشرع الاسلامي أعلن حرية المرأة وخولها كل حقوق الإنسان ،واعتبر لها كفاءة لا تنقص عن كفاءة الرجل في جميع الأحوال المدنية من بيع وشراء ورهن وإجارة وهبة ووقف ووصية،من غير أن يتوقف تصرفها فيما ذكر عن إذن أبيها أو زوجها [3]

لقد أبرز المؤلف ما للمرأة من حقوق وما عليها من واجبات، وكان ذلك في حدود الضرورة والأخلاق الحميدة التي أوصى بها الدين الإسلامي الحنيف ، مستشهدا بالآيات القرآنية وسيرة السلف الصالح .

ومن المصلحين الذين أفردوا حيزا من إهتماماتهم الإصلاحية لقضايا المرأة الشيخ المولود بن الموهوب[4] الذي دعى في عصره بضرورة التكفل بالأسرة إعتمادا على نمط التربية الدينية والخلقية

---

[1] – مصطفى بن الخوجة ، الاكتراث... المصر السابق ، ص93 ، نقلا عن يمينة بشي ، مرجع سابق ، ص224 .

[2] – يمينة بشي ، المرجع السابق ، ص224 .

[3] – مصطفى بن الخوجة ، اللباب... ، مصدر سابق ، ص 157

[4] – **المولود بن الموهوب** (1939/1866) : المولود بن محمد السعيد بن الشيخ المدني بن العربي بن مسعود بن الموهوب ،كاتب ، خطيب ، شاعر ، نشأ وتعلم بقسنطينة ،عين سنة 1895م أستاذا للفقه والعلوم الإسلامية بمدرسة 'سيدي الكتاني'،بقسنطينة ثم مفتيا للمذهب المالكي بها سنة 1908 ، وفي نفس السنة ساهم في تأسيس نادي 'صالح باي' الثقافي ، وفيه كان يلقي محاضراته الثقافية كما كان يلقي دروس الوعض في الجامع الأخضر ،له شعر جيد في محاربة البدع وعدد من المقالات الأجتماعية والثقافية نشرت في 'كوكب إفريقيا'،و'الإقدام'، و'الصديق'،كان يحسن الفرنسية ويجادل المستشرقين والمستعمرين،من آثاره:'نظم مقدمة ابن آجروم'، 'مختصر الكافي' 'شرح منظومة التوحيد' لشيخه عبد القادر المجاوي ،'وآداب الطريق 'في التصوف،حمل فيه على البدع والطرقة الضالة وأصحابها ، أنظر: عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص324.

من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كونهما يشكلان الدعوة الصريحة لإصلاح المرأة ، كما حمل المسؤولية الثقيلة للرجل الذي ضل ينظر للمرأة نظرة ناقصة ، فلا يعيرها أي اهتمام ولا يعتبرها زوجة شريكة له في قضاياه ، ولا ينظر إليها بنظرة التكامل بالرغم من أن الإسلام منحها حقوقا عليه كما منحها واجبات إليه ، وقد أشار الى ذلك بن الموهوب بقوله:"نادى الإسلام منذ ثلاثة عشر قرنا وخمسة القرن ، لا يزال ينادي كل رجل ذي عائلة حاثا له على ذلك ، وأن يعطي امرأته حقها ،وأن يعتبرها شريكة له في أمور عائلته، زيادة على كونها أمانة بحيث لا يهينها ، فإمساك بالمعروف أو تسريح بالإحسان...وكلما حسنت المعاملة تكون الراحة وسكن الأدب في القلوب فديننا الحنيف منع أن يعامل الزوج زوجته بغير الحسنى ، ومنعه أن يكلفها شيء لا تطيقه ... " [1]

وإذا كان بن الموهوب قد حمل الرجل المسؤولية العائلية ، فإنه لم يبرئ المرأة منها ، واعتبرها هي الأخرى شريكا هاما في العائلة ، ولها الدور الأساسي في توفير المناخ العائلي الناجح لزوجها وأطفالها وقد أشار الى لك بقوله :"وإن المرأة لها مسؤولية في تعويد الأولاد على المحاسن وتأديبهم على الجد المبلغ لنقش كل فضيلة في قلوبهم ، بعد محو كل كارثة عن عيونهم ..."

ويواصل بن الموهوب كلامه موضحا مكانة المرأة في المجتمع الإسلامي وقد شبهها بالمصباح المضيء كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :" وإذا كانت المرأة متوقفا عليها عمران المنزل كما ورد في الحديث 'هن مصابيح البيوت ' ، فكيف يترك الزوج إحترامها واستشارتها فيما لها دخل فيه ، بل هو مطالب باحترامها واعتبارها عضوا منه مع الحث لها على ترك ما لا يراه صوابا ، لكن بسكينة ..." [2]

[1] – جريدة المغرب ، العدد 30 ، الموافق ل 21جويلية 1903 ، نقلا عن / أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص70.

[2] –نفس المصدر نقلا عن ، أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص71.

ويعتبر الأمير خالد[1] أحد الذين أدرجوا قضية المرأة في مطالبهم الأصلاحية ، حيث لم يستثني في مطالبه قضية المرأة الجزائرية وطالب بضرورة النظر إليها والاستماع لها ومعالجة أمورها ، وذلك بإعطائها الفرصة في التعليم والتربية وكسب المعرفة ، وكان الأمير يراهن دوما على العلم لكسب المستقبل ، ونشر في جريدة الإقدام العديد من المقالات منها ' العلم والتعلم ' قال فيه : " من البديهي أن العلم هو أساس كل فضيلة وهو الوسيلة الوحيدة لإنقاض الأمم من ظلمات الجهل الى النور ... فلا أمل بلا علم ولا علم بلا معارف ..." [2]

كما اعتبر من خلال جريدة الإقدام التربية الأسرية مقترنة بالتربية المدرسية ، وأن المرأة تمثل المحور الرئيسي في ذلك ، وأن تعلمها يكتسي أهمية قصوى في نجاح المجتمع ، وقد جاء ذلك كما يلي : " فسدت التربية البيتية بفساد تربية المرأة فإن جل نسائنا جاهلات لم يدركن قيمة التربية ...حتى ينشأن أولادهن نشأة صالحة يتهيؤون بها للتربية المدرسية ، فعبثا نحاول إصلاح التربية ما لم تكن مبنية على ذلك الأساس المتين...فإلى تعليم المرأة وإعداد الأم لتلك التربية العائلية ، وقد صدقت لعمري من قالت الأم أمة..." [3]

ومن الشخصيات الإصلاحية البارزة التي اهتمت بمرضوع المرأة عمر بن قدور[4] ، الذي دافع عنها واعتبر هو الآخر أن جهل المرأة الجزائرية يعد سببا في تأخرها ، وبذلك تأخر المجتمع

---

[1] –**الأمير خالد بن الهاشمي** (1936/1875) ، هو خالد بن الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر الجزائري ، ضابط صحفي ، ولد بدمشق وتعلم بها ،وبثانوية لوي لوجران بباريس ثم التحق بثانوية (سانسير) العسكرية فتخرج برتبة ملازم ، وفي الحرب العالمية الأولى خدم في الجيش الفرنسي برتبة قبطان سبائحي ،شارك بعد الحرب في الحياة السياسي الجزائرية ولعب دورا كبيرا بها ، أصدر سنة 1920 جريدة 'الإقدم' فكانت منبرا للأقلام الوطنية المطالبة بحقوق الشعب،وقد استمرت في الصدور حتى سنة 1923،حين أصبحت السلطات الفرنسية قلقة من نشاطه الوطني ، قررت نفيه من الجزائر فتوجه الى فرنسا واستمر في نشاطه السياسي ، ثم سافر الى مصر واتهم هناك بحمل جواز سفر مزور ، فحوكم من المحكمة القنصلية الفرنسية في الاسكندرية سنة 1925وحكمت بسجنه خمسة شهور ولما أطلق صراحه توجه لى دمشق اين استأنف بقية حياته . نظر عادل نويهض مرجع سابق ، ص100.

[2] –الأمير خالد ، " العلم والتعلم " ، جريدة الإقدام عدد 12 ، الموافق ل 30 ديسمبر 1920 ، نقلا عن ، أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص73.

[3] – الأمير خالد ، المصدر السابق ، العدد 2 الطبعة العربية 1920 ، نقلا عن ، أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص74.

[4] – **عمر بن قدور** (1932/1886): من رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر ،عرف باتجاهه السلفي الإصلاحي، نشأ وتعلم بمدينة الجزائر، أنشأ جريدة 'الفاروق' في 28 فبراير 1913 ،وعني بالقضايا التي تهم المسلمين في العالمين العربي والإسلامي ، صادر الإستعمار جريدته 'الفاروق' ، ونفاه الى الأغواط ، وفي سنة 1920 حول جريدة الفاروق الى مجلة ، وأصدر العدد الأول منها في نفس السنة أنظر : عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص–ص243_244 .

عن ركب الحياة العادية ، ولا تنتج المرأة وقتها سوى جيل جزائري لا منفعة فيه ، وقد أشار الى ذلك بقوله :" لما كانت المرأة المسلمة لسوء الحظ جاهلة ، أخرجت شعبا كسولا ، وأنبتت نباتا خبيثا تهيأ أفكار أبنائنا الى التواكل والخمول والكسل والجمود ..."[1].

ومن ثم اعتبر بن قدور أن المرأة تعد محورا أساسيا في ترقية المجتمع نحو الأفضل ، وهي التي تبعد عنه روح وأسلوب التوكل على الغير ، وتغرس في النفس الناشئة الإعتماد على الذات التي تعد مفتاح الحياة ، وكتب في الفاروق يقول :" لو قيض الله للمسلمين أن يدرسوا حقائق الأسباب التي منعتهم عن النهوض الى تنمية حياتهم وحفظ حيزهم القومي من أدوات الإضمحلال لعثروا بجهل المرأة يقرض عروة الجامحة كالجرذ ويقطع ظهر الملة كالسيف ..." [2] .

وقد حدد نتائج الجهل الوخيمة على المرأة نفسها وعلى عقيدتها ، وانعكاس ذلك على زوجها اقتصاديا ومعنويا إذ يقول :" هذا مُصاب جهل النّساء قد أخذ الرجال بما كسبوا، وحكم عليهم أن يخضعوا لبدعهنّ ، وأن يأتمروا بأمرهنّ، يرحلوا بهنّ إلى أضرحة الأولياء وإن بعَدت ، ومساكن الجنّ (على زعمهنّ) وإن صَعبت ، باذلين في ذلك كلّ نفيس، حاملين النّذور والقرابين والشّموع، ومؤونة طيبّة لا يطعمون مثلها في غالب الأوقات، حتى إذا بلغوا وبلغْن تضرّعوا وتضرّعْن، وتواجدوا وتواجدْن أمام أخشاب نخرة أو حجارة صلدة قائمة، أو مياه معدنية جارية ما بين طالبين وطالبات ، من الجماد يبتغون السّعادة والرّزق والذرّية ودفع الضرّ، ويبتغينَ حتىّ إذا رجع الجمع ونال بعضهم أو بعضهنّ نصيباً مما كانوا يبتغون على سبيل الصدفة، نسبوه إلى تأثير الجماد الذي كانوا عنده، وهم يحسبونه روحاً أميناً أو إلهاً قديراً؛ فيزيدهم ذلك خروجاً من دائرة الدّين، ومروقاً عن اليقين، حتى إذا أصابهم ضرر فزعوا متذكّرين أنهم قد تأخروا عن دفع النّذور التي فرضوها على أنفسهم كل عام لسادتهم الأباليس،

[1] – عمر بن قدور: "**بجهل المرأة المسلمة وأحلامها الفاسدة نال الشعب من كوارث البدع ما ناله**"، الفاروق، ع.38 ، (23 نوفمبر 1913) ، نقلا عن ، أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص68.

[2] – عمر بن قدور، المصدر نفسه ، نقلا عن ، أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص69.

فيسرعون إلى تلافي الخلل بكل نفيس. وهكذا أصبح الشّعب بغنيّه و فقيره وعالمه و جاهله؛ أسير جهل النساء يدير دفّة...ويبعث فيه نذير بؤسه و شقائه"[1].

ويضيف بن قدور مبرزا تأثير هذه المعتقدات البالية على الأجيال بقوله :" ...ويااليت هذا الداء توقف عند هذا الحد إذ لهان الأمر ، ولكنه يستفحل ويشتد ليزدرد جيلا كاملا من الناشئة الأبرياء لأن هذه الأم وجد الجهل في تربيتها رملة ميثاء لن تثمر إلا ثمرة تحمل في أصلها كل عناصر الزيغ والإنحراف... لأن الصورة التي ترتسم في ذهن الطفل عندما تحمله أمه معها لزيارة الشيخ لن تمحها الأيام ولو جاهدت وهكذا ينشأ مخلصا للشيخ محبا له ، يقدم له الهدايا حيا ، ويتمسح بقبره ميتا ، ويستنجد به كلما عثرت به قدم، ويتشبع بفكرة أدعياء التصوف الداعية الى التكاسل والخضوع الى الإستسلام ، وقد علقتها بصدره هذه الأم الجاهلة يوم علقت بعنقه سلسلة من التمائم والرقى"[2]

ومع نهاية الحرب العالمية عرفت الجزائر ميلاد الحركة الطلابية ، هذه الأخيرة التي أولت إهتماما لقضية المرأة وتجسد ذلك خلال المؤتمرات الدورية التي كانت تعقدها جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين [3]، ففي المؤتمر الأول الذي إحتضنته المدرسة الخلدونية بتونس ما بين 20 و22 أفريل 1931 احتلت المرأة مكانة كبيرة في اهتمامات الطلبة ولعل طرح الطلبة لموضوع المرأة يعبر عن مدى تطلعهم للبحث عن أسس الحقيقة لبناء المجتمع المتوازن، وكانت جل المداخلات قد إنصبت على إبراز دور المرأة في المجتمع وأنها لا تزال مهمشة ولم تنل حقها في منظومة التعليم و الشيء الذي تحصلت عليه بعضهن في بعض المدارس ظل محدودا جدا، وإقتصرت

---

[1] – عمر بن قدور، المصدر السابق ، نقلا عن ، زهير بن علي ، **"قضايا المرأة ضمن إهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية(1925/1954)"** ، مذكرة ماجستير ، إش : سليمان قريري ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر، باتنة ، 2015 ، ص147.

[2] – عمر بن قدور ، المصدر نفسه ، ص 38 ، نقلا عن ، يمينة بشي ، مرجع سابق ، ص227.

[3] – **جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين** : تأسست في شهر ديسمبر 1927 ، بباريس ، وهي جمعية طلابية تضم طلبة المغرب العربي (تونس _الجزائر _ المغرب الأقصى) ساهمت في العديد من قضايا المغرب العربي الفكرية والسياسية والإجتماعية وذلك خلال مؤتمراتها السنوية التي كانت تحتضنها احدى مدن المغرب العربي مثل المدرسة الخلدونية ، ونادي الترقي وتلمسان بالجزائر ، ومدينة تيطوان بالمغرب ، للمزيد أنظر : أحمد مريوش ، **"الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954"** ، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ، إش: ناصر الدين سعيدوني ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، 2006 ص101.

على تلقينهن اللغة الفرنسية على حساب اللغة العربية كما لم لم تعطى لهن دروس في التربية وتدبير صحة الأطفال و المحافظة على تماسك الأسرة ، كما إنهت اللجنة عملها بالتوصل إلى توصيات حول أهمية تعليم المرأة منها وجوب تعليم المرآة وتثقيفها لتربية أبناءها،والقيام بشؤون الأسرة واتخاذ الحرف لإستعمالها عند الحاجة وتأسيس وتوسيع دائرة المدارس الحرة لتعليم البنات المسلمات باللغة العربية [1]

وهذه كانت بعض النماذج لفريق من أعلام الجزائر الذين راهنوا على ضرورة إشراك المرأة في بناء هرم المجتمع بعتبارها لبنة هامة في أطر التربية وتكوين الأجيال ، وتلقينهم الأفكار والمبادئ والمقومات ، وأن ذلك لا يكون ناجحا الا بتعليم المرأة ، لأنها تعلمها الناجح وثقافتها الصحيحة يعتبران أنجح وسيلة للتغيير، تكون بطيئة لكنها عميقة الأثر ودائمة المفعول.

وبالرغم من تلك الجهود النبيلة التي إهتمت بالمرأة وتعليمها ، فقد ضلت بعض الأوساط متحفظة من تلك الدعوة ، حيث اعتبرتها ظاهرة غريبة عن طبائع أجدادهم ، مما أوجد صعوبة في تقبل الفكرة لأن المرأة كانت تعيش في وضع مغلق ، بسبب الحصار الذي فرض عليها ، وهكذا وجد الدعاة صعوبات جمة أمام الدعوة لترقية المرأة من قبل العديد من المتحجرين الذين اعتبروا المرأة عاجزة عن عملية التغيير [2].

ومما لا شك فيه أن موضوع إصلاح المرأة وترقيتها وتلقينها عناصر التربية والتعليم والمعرفة ، قد عرف إهتماما أكبر عند تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي أولت المرأة إهتماما بالغا في مشروعها الاصلاحي ، فكيف كان دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين اتجاه المرأة الجزائرية المسلمة ؟

[1] – أحمد مريوش ، الحركة الطلابية...، المرجع السابق ، ص125.

[2] – أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص79.

أولا / ميلاد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

تمكن بعض الجزائريين على الرغم من معارضة السلطات الاستعمارية من الذهاب إلى جامعات العالم العربي قصد التعليم، نظرا لعدم وجود مدارس وجامعات في الجزائر،فكانت وجهتهم الزيتونة في تونس والقرويين في المغرب، والأزهر في مصر،وكذلك جامعة المدينة المنورة. وبعد عودتهم إلى الجزائر عملوا على إنشاء مدارس حرة لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن. كما عملوا على نشر الجرائد المختصة في تناول نهضة الجزائر الثقافية،من منطلق دعوتها إلى الإصلاح الديني وتحقيق الوحدة الإسلامية والعربية.[1]

وقد اقتنع العلماء بعد نظر شامل لحال البلاد أن تدهور الجزائر الاجتماعي والديني أصبح ينذر بالخطر ويستدعي التدخل العاجل من العلماء على الساحة الوطنية ، الى أن ظهرت فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين ، عند اجتماع الشيخ ابن باديس[2] في الحجاز بالشيخ محمد البشير الإبراهيمي[3] سنة 1913 وفي ذلك يقول الإبراهيمي : "وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام

---

[1] – قريري سليمان ، **"تطور الإتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940/1954"** ، مذكرة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، إش: مناصرية يوسف ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011، ص67.

[2] –**عبد الحميد بن باديس**:هو عبد الحميد بن مصطفى بن المكي بن باديس باعث النهضة العربية والإسلامية في تاريخ الجزائر المعاصر وعلم من أعلام الفكر الاسلامي ، ولد بقسنطينة في ديسمبر 1889 ، حفظ القرآن الكريم في الثالثة عشر من عمره، ورحل الى تونس سنة 1908 ، ودرس بجامع الزيتونة وتخرج منه سنة 1912 ، وتولى التدريس به عاما ، ثم عاد الى الجزائر ، لكنه لم يلبث أن سافر الى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج ، وهناك اتصل بنخبة من أعلام الفكر والإصلاح ، ولما عاد الى أرض الوطن شمر على ساعد الجد وأخذ يناضل بالعقل والقلم واللسان في ميادين مختلفة،واعتمد في دعوته الإصلاحية على الكتاب والسنة وسخر لذلك وسائل عدة ، منها الصحافة والمسجد والتربية والتعليم ، وكان يراهن على عنصر الشباب ، وكون جيلا جزائريا مخلصا خدم الحركة الوطنية بشقيها السياسي والثوري ، واستمر في جهوده الاصلاحية الى أن توفي في 16 أفريل 1940 ، للمزيد أنظر: محمد الصالح صديق ،**"شخصيات ومواقف"** [م.و.ك] ، الجزائر ، 1992 ، ص_ص 293_297 .

[3] – **البشير الإبراهيمي**(1889/1965) :محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي أحد رجال الإصلاح الإسلامي خطيب من الكتّاب البلغاء،العلماء بالأدب والتاريخ وعلوم الدين ، ولد في قصر الطير في قبيلة ريغة المعروفة بـ"أولاد ابراهيم"بدائرة سطيف،تلقى دروسه الأولى عن أبيه وعمه،ثم في زاوية بن شريف في شلاطة بجبال القبائل،هاجر الى المدينة المنورة 1911،فأتم دراسته العليا فيها ثم انتقل الى دمشق سنة 1917 ، وعمل أستاذا للأدب العربي بالمدرسة السلطانية ، شارك في تأسيس المجمع العلمي العربي سنة 1921،وفي نفس السنة عاد الى الجزائر وانقطع للخدمة العامة مع رائد النهضة ابن باديس وصحبه، كان من أبرز مؤسسي جمعية العلماء،وانتخب نائبا لرئيسها عبد الحميد بن باديس،ولما توفي بن باديس انتخب لرئاسة جمعية العلماء خلفا له.أنظر:عادل نويهض ، مرجع سابق ، ص13.

1913 هي التي وضعت الأسس لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي لم تبرز للوجود إلا عام 1931"[1]،ومن تلك المناسبة عرفت فكرة التأسيس تطورا وتقدما نحو التجسيد،ففي عام 1924 عرض بن باديس على الإبراهيمي تأسيس جمعية بإسم "الإخاء العلمي" لتجمع علماء قسنطينة وتوحد جهودهم والتقريب بين مناهجهم، لكن المشروع لم يتم لعدم وجود الإستعداد لمثل هذا العمل الذي يحتاج الى تخطيط طويل ،ولا يثبت عن الفكرة الطارئة [2]، وجاء عام 1928 حيث تحقق عزم بن باديس ووجه دعوته الى الطلاب العائدين من جامع الزيتونة والمشرق العربي الذين رأى فيهم مقدرة واستعدادا للعمل في سبيل الدين والوطن وقد لبى دعوته الشيخ محمد البشير الإبراهيمي،والشيخ مبارك الميلي[3]والشيخ الطيب العقبي[4]والشيخ العربي التبسي [5]

---

[1] – الزبير بن رحال،"**الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية** "،دار الهدى،عين مليلة،2009، ص67.

[2] – مازن صالح مطبقاني ، " **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1931 / 1939** " ، عالم الأفكار ، الجزائر ،2011 ، ص69 .

[3] – **مبارك الميلي**:ولد في ميلية (القبائل الصغرى) في أسرة متواضعة ،زاول دراسته بميلية، ثم قسنطينة تحت اشراف ابن باديس ، وبعدها واصل دراسته بتونس، وتخرج من جامع الزيتونة وعاد الى الجزائر 1922 ، فعمل في حقلي التعليم والكتابة في قسنطينة ثم أقام بالأغواط بين سنوات (1933/1927) ، وقد أثر فيها بالمذهب الإصلاحي ، أصبح الأمين العام لجمعية العلماء عند تأسيسها،وأوكلت له إدارة لسان حالها 'البصائر'،وعند وفاة بن باديس كلف بمواصلة التدريس بالجامع الأخضر بقسنطينة الذي كان أنذاك المركز الفكري الأول للحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر،وتولى هذه الخلافة الى غاية وفاته،أنظر: علي مراد، مرجع سابق ، ص ص 105_106.

[4] – **الطيب العقبي**(1890 – 1960م):خطيب، كاتب، صحفي،ولد في بلدة سيدي عقبة. هاجر مع أسرته الى المدينة المنورة 1895 م فنشأ بها وأخذ عن علمائها، ودرس في الحرم النبوي، وشارك في الحياة السياسية هناك،وفي سنة 1925م عاد الى الجزائر وأظهر نشاطا كبيرا في محاربة البدع والضلالات، وأصدر جريدة "الإصلاح" 8سبتمبر 1927 ، فكانت منبرا لأقلام دعاة الإصلاح والحرية في الجزائر، واستمرت حتى سنة 1948،ولما انشىء "نادي الترقي"بمدينة الجزائر تولى الوعظ والإرشاد فيه، وعند تأسيس "جمعية العلماء المسلمين" 1931م ، اختير نائبا للكاتب العام،ثم انفصل عن الجمعية في أوائل الحرب العالمية الثانية لخلاف وقع بينه وبين زملائه ، أنظر : عادل نويهض ، مرجع السابق ، ص238.

[5] – **العربي التبسي** (1895 – 1957م) : من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين. ولد في بلدة اسطح قرب تبسه. وتعلم بزاوية نفطة وجامع الزيتونة بتونس ثم بالأزهر بمصر،وعاد سنة1927 فاشتغل بالتعليم العربي الاسلامي في تبسة وغيرها،وشارك في الحركة الاصلاحية بقلمه ، وفي سنة 1935 اختير كاتبا عاما لجمعية العلماء، ثم نائبا لرئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي ، ولما رحل الابراهيمي الى المشرق 1956 تحمل مسؤولية رئاسة الجمعية وإدارت شؤونها في غيابه،سجن عدة مرات لمواقفه الوطنية،وفي 17 افريل 1957 خطفه الفرنسيون وأغتالوه. أنظر : علي مراد ، مرجع سابق ، ص134.

والشيخ السعيد الزهاري[1] والشيخ محمد خير الدين[2].

وبعد استعداد العلماء للتضحية في سبيل دينهم ووطنهم شرع في وضع خطة العمل[3]، وفي سنة 1931 تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وذلك بعد الاحتفالات التي اقامتها فرنسا في الجزائر بمناسبة مرور قرن على الاحتلال وقد اتخذت الإحتفالات صورة إفتزازية بالنسبة لمشاعر الجزائريين ، حيث أشعرتهم بالذل والمهانة وذكرتهم بمئات الألوف من الشهداء ،فكانت تلك الإحتفالات حافزا وعاملا قويا في سرعة إخراج فكرة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من حيز الأماني والآمال الى حيز الوجود الفعلي[4]

أما صدورها الرسمي فكان في 05 ماي 1931 حيث اجتمع بنادي الترقي بعاصمة الجزائر على الساعة الثامنة من صباح يوم الثلاثاء17من ذي الحجة عام 1349هـ الموافق ل05 ماي 1931 اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري من مختلف الطوائف والمذاهب بعد دعوة وجهت في الشهاب عدد مارس 1931 إلى تكوين جمعية العلماء [5]، والدعوة لم تتضمن اسم

---

[1] – **محمد السعيد السنوسي الزاهري** (1899-1956م) : صحفي ، شاعر ، كاتب ، من رجال الحركة الاصلاحية ،كان عنيفا في نقده للطرقية وهجومه على البدع ، ولد في قرية ليانة قرب بسكرة،درس على يد الشيخ عبد الحميد بن باديس ثم بجامع الزيتونة بتونس. عالج كتابة القصة الى جانب المقال الاصلاحي وبعض المواضيع القومية. أصدر جريدة "الجزائر"سنة 1925و" البرق " سنة 1927و"الوفاق" سنة 1938و"المغرب العربي"سنة 1947،من آثاره "الاسلام في حاجة الى دعاية وتبشير"، أنظر:عادل نويهض،مرجع سابق، ص157.

[2] – **محمد خير الدين** : ولد في بلدة فرفار بوحات الزيبان بدائرة بسكرة في دسيمبر 1902، نشأ نشأة دينية في كنف والديه ، تلقى دروسه الأولى على يدي الشيخ الطاهر ، في علم النحو والفرائض وتلاوة القرآن ، ثم تتلمذة على يد علماء من قسنطينة ،ومنها توجه الى تونس لإشباع رغبته في طلب العلم ، واستفاد من إقامته بها إضافة الى العلم بزاد آخر سياسي واجتماعي ثري،فقد شهدت تونس في فترة إقامته بها ما بين عامي 1925/1918 يقضة ونهضة، وفي ذلك يقول:"رأيت فيها ما لم أشاهده من قبل في حياتي الأولى بالجزائر،فأثر ذلك في تكويني ،وهيأني للعمل على نهضة الجزائر في مجالين متوازيين هما الإصلاح الديني والإصلاح الوطني،للمزيد أنظر : محمد خير الدين ، "**مذكرات الشيخ محمد خير الدين** " ط2 ، مؤسسة الضحى ، الجزائر ، 2002 ، ج1، ص ص 60_68.

[3] – عرضت خطة العمل في عدة نقاط لتنفيذها ، وهي تكوين لجنة للتسيير والتنفيذ ، والشروع في إنشاء المدارس الحرة ، والإلتزام بإلقاء دروس الوعض لعامة المسلمين والاعتماد على الصافة لتوعية طبقات الشعب ، وإنشاء النوادي العربية للإجتماعات وإلقاء الخطب والمحاضرات ، وإنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب في كافة أنحاء البلاد ، والعمل على إذكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد . أنظر :الزبير بن الرحال ، مرجع سابق ،ص ص71، 72.

[4] – تركي رابح عمامرة ،" **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورؤساؤها الثلاثة(1931/1956)** " ، ط1 ، [موفم] ، الجزائر ، 2009 ،ص42.

[5] – محمد خير الدين ، مصدر سابق ج1 ، ص89.

عالم بل كانت باسم الأمة كلها لاحتواء أكبر عدد ممكن من العلماء على اختلاف مناهجهم والتي من شأنها أن تحقق الهدف المرجو من تأسيس الجمعية والمتمثل في توحيد جهود العلماء في ميدان التضحية والمقاومة[1]وتتلخص مبادئ الجمعية بصفة عامة في الشعر التالي الذي ينسب الى مؤسسها الشيخ عبد الحميد بن باديس :" الإسلام ديننا ،والعربية لغتها والجزائر وطننا "،وكانت غاية الجمعية حسب ما جاء في قانونها الأساسي هي محاربة الآفات الإجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل وتحجره القوانين الجاري بها العمل[2]، وللوصول الى هذه الغاية تتذرع الجمعية كل ما تراه صالحا نافعا لها غير مخالف للقوانين المعمول بها ، وقد لخص عبد الحميد بن باديس أهداف الجمعية في قوله :" القرآن إيماننا ، والسنة سبيلنا ، والسلف الصالح قدوتنا، وخدمة الإسلام وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا ."[3] وخلصت بذلك الجمعية للمصلحين فزادت رابطة الأخوة بينهم ونمت عاطفة الاتحاد فيهم وكبر شعور التضحية لديهم وعظم إحساس المسؤولية في وجدانهم وعقولهم وانطلقوا في تسطير البرامج وتنظيم الوسائل وقبل ذلك تحديد الأهداف بدقة متناهية ، لتغيير أوضاع القطر الجزائري الذي دمرته السياسة الإستعمارية الغاشمة.

ثانيا / العلماء المسلمون ودورهم في مواجهة البدع والخرافات :

جاءت الاهتمامات الإصلاحية لرواد جمعية العلماء المسلمين قبل تأسيسها ، وذلك من خلال جهودهم التي تمثلت أساسا في خلق الصحافة والمدارس والنوادي الثقافية ، والتي تعد بداية أعمالهم الإصلاحية الفردية ، والتي استمرت تحت راية جمعية العلماء عند تأسيسها .

والواقع ان حركة الإصلاح لم تبدأ بجمعية العلماء فالحركة كم رأينا في الفصل السابق بدأت بجهود فردية لأعلام جزائرية مثل المجاوي وبن الخوجة وعمر بن قدور وغيرهم ، ثم تبلورت ونضجت هذه الحركة على يد ابن باديس وأنصاره ، حيث نشأت الصحافة الإصلاحية وتأسست النوادي ونبتت المدارس الحرة ومساجد الوعض والإرشاد في كثير من القرى الجزائرية

[1] – أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ،ج3 ، ص83.

[2] – محمد خير الدين ، مصدر سابق ،ج1 ، ص104.

[3] – أبو القاسم سعد الله ، ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ج3 ، ص89 .

ومدنها ، وكان بن باديس هو العصب المحرك لهذه الحركة بشخصه وقلمه ولسانه وتلاميذه وسمعته [1]

اهتم العلماء المسلمون بمحاربة الطرقية المنحرفة التي كان لها أثر كبير في تدهور الحياة الثقافية بالنسبة للمرأة الجزائرية المسلمة ، وقد نشب خلاف كبير بين العلماء المصلحين والطرق الصوفية حيث يرى العلماء ان " أوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف، و مبناها كلها على الغلو في الشيخ، والتحيز لأتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال، ومن تجميد للعقول، واماهة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور"[2]، كما ان"بناء القباب على القبور ووقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والإستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهات لأعمال المشركين" [3]

ويرى العلماء أن اخطر ما نتج عن الطقوس الطرقية، انقسام الأمة على نفسها فبدل التساوي في الكرامة والحقوق والواجبات ، انقسم المجتمع إلى مشايخ ومقدمين وإخوان ، وبدل الأخوة بين كافة أعضاء المجتمع عم التحزب و التعصب لتعدد الطرق و اختلافها فيما بينها ، وفي هذا يقول عبد الحميد بن باديس :" بالرغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية فقد عكرتها البلايا والمحن حتى استخذت وذلت ،وسكنت على الضيم و رضيت للهوان وبالرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة فقد عملت فيها الطرقية المحركة تفريقا و تشتيتا حتى تركتها اشلاءً لا شعور لها ببعضها ولا نفع..." [4]

ويجيب الطيب العقبي أحد الصحفيين الفرنسيين عندما سأله عن سبب محاربتهم للطرقيين فيقول :" نحن لا نحارب المرابطين لعداوة شخصية بيننا وبينهم ، أو حسدا لهم على ما أتوا من مرتبة وجاه ، ولكننا نحارب الجهل والضلال اللذين تلبسوا بهما ، فنشأ عن ذلك الإضرار المادي والأدبي بهذه الأمة ، حتى بلغت أقصى دركات الإنحطاط الفكري والإجتماعي معا كما

[1] – أبو القاسم سعد الله ، ، الحركة الوطنية ، مرجع سابق ، ج3 ، المرجع السابق ، ص85 .

[2] – عبد الحميد بن باديس ،"**مجلة الشهاب**" ، دعوة جمعية العلماء المسلمين وأصولها ، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ،ج4 ،مج13 ،11 جوان 1937 ، ص179 .

[3] – نفسه ، ص178 .

[4] – عمار طالبي ، "**آثار بن باديس** " ، ط3 ، [ش.و.ط.ن] ،الجزائر ، ج2، مج2، ص367.

هو مشاهد ، ومعلوم من رجال الأمة الإسلامية اليوم ،كما أننا نحارب الطرقيين،لأنه لا طرق في الإسلام،وإنما هو دين واحد وطريقة جامعة" [1]

ويستنكر العلماء أيضا على مشايخ الطرق ابتداع عادات "الزيارات" و"الهدايا" التي تتطلب واجبات مالية وعينية ويصف ابن باديس استغلال شيوخ الطرق للعامة و للفقراء فيقول" حالة وطننا في الأعم الأغلب في الولائم والمآتم لا تخلوا من الترف فيها الذي يؤدي الى التقتير ... ان بعض المأمورين من بعض شيوخ الطوائف يأتون بثلة من أتباعهم فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء الناس،فيذبح لهم العناق إن كانت ويستدين لشرائها إن لم تكن موجودة ويفرغ المزاود و يكنس لهم ما في البيت ويصبح معدما فقيرا مدينا...وشر ما في هذا الشر انه يرتكب هذا باسم الدين ويحسبه الجهال انه قرب لرب العالمين ..." [2]

ومن أشدّ الأقلام على الطُرقيين،قلم الشيخ مبارك الميلي ، الذي نشر سلسلة من المقالات في جريدة البصائر بعنوان ، "رسالة الشرك ومظاهره"كشف من خلالها عن خطر البدعة والشرك بالأشياء الجامدة وأثرها على إفساد العقيدة الإسلامية ، واعتبر الميلي أن البناء العقيدي شرط ضروري لنهظة الجزائر ، ولذلك فقد طبع مقالاته في شكل كتاب سنة 1937 [3].

ويحدّثنا الميلي متعجّبًا من ممارسات أتْباع الطرقية، التي كانت تحاكي صورًا من الوثنيات الأولى: " ألم ترى في أوساطهم قبابًا تبذل في شيدها الأموال، وتشدّ لزيارتها الرّحال؟ أمْ لم تسمع منهم استغاثات وطلب حاجات من الغائبين والأموات؟ أم لم تعلم بدُورٍ تُنعت بدار الضّمان تشترى ضمانتها بالأثمان؟ أم لم تجتمع بذرّية نسب للمرابطين إعطاؤها بقوّة غيبية ؟ أم لم تتكرّر عليك مناظر مكلفين إباحيين يقدّسون بصفتهم مرابطين أو طرقيين؟ هذا إلى اجتماعات تنتهك فيها كلّ الحرمات باسم الزّرْدات، أو تحت ستار الاعتقادات والدعوة إلى أوضاع مبتدعة صدّت الناس عن إتّباع السنة المطهّرة"[4].

---

[1] –الطيب العقبي ،**أجوبة حكيمة**،"مجلة الشهاب" ،ج5 ، مج11 ،جمادى الأولى 1354هـ الموافق لـ 1935م،ص 286 .

[2] – عمار طالبي ، مصدر سابق ، مج1، ص ص 466_467.

[3] – أحمد مريوش ،" **دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر** " ، ط1 ،كنوز الحكمة ، الجزائر ،2013 ، ج1، ص 140.

[4] – مبارك بن محمد الميلي ، "**رسالة الشرك ومضاهره**" ، تح وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود ، ط1 ،دار الراية ، المملكة العربية السعودية ، 2001 ، ص 164.

كما يعتقد بأنّ هذه الأعمال من مظاهر الشّرك، ويقول عنه بأنّه:" أم المساوئ وكُلّيةُ الرّذائل ومَعمَل الموبقات، فهو معصيةٌ لا تُجدِي معها طاعة، ومَنْقَصةٌ لا يُجزي عنها كمال، وضَعَةٌ لا يقوم منها عِزّ، وسَفَهٌ لا ترشُد به نفسٌ، ولولا الجهل؛ ما نَجَمَ له قرنٌ، ولولا الوَهْم ، ما حَيِيَ له عودٌ، ولولا العادة ما امتدّ له عِرقٌ؛ فهو شجرةٌ خبيثةٌ؛ ثرَاهَا الجَهَالةُ، وسُقْيَاهَا الخيال، وعرقَاتها الاعتياد، وجَنَاهَا نارٌ حفّفتها بالشّهوات، وعارٌ سُتِرَ بالترهات؛ فلا كان الجَهلُ القبيح، ولا كانت العادةُ الضّارةُ، ولا كان الوَهْمُ الضّالُ، ولا كان الشّركُ ومَسَاوِئه"[1]

كما يذكر الميلي حكم الدعاء لغير الله ،بأنه شرك صريح وكفر قبيح"كالذي يقول يا ربي وشيخي، ياربي وجدي، يا الله ياسيدي عبد القادر ..."[2]، ويذكر انكار القرآن الكريم لدعاء غير الله [3] كما جاء في قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ*إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ}[4] ، وقوله تعالى :{وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ *وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ }[5] وقال تعالى : {وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}[6]

وقد اشتدت حملة مواجهة البدع والخرافات ، منذ استقل ابن باديس بصحافته الاصلاحية سنة1925م بتأسيسه جريدة 'المنتقد' التي كانت متحررة وداعية للنهضة الوطنية بأسلوب واضح وحماس ، ما جعل الإدارة الفرنسية توقفها بعد حوالي ثمانية عشر عددا ، ليصدر ابن باديس بعدها جريدة 'الشهاب' ثم حولها الى مجلة منذ فيفري1939،وقد ظلّت مجلّة 'الشّهاب' منذ تأسيسها تهاجم الطرقيين ، وتوقض الرقود وتنبه الغافلين [7].

---

[1] – مبارك بن محمد الميلي ، رسالة الشرك...المصدر السابق ، ص ص 89_90.

[2] – نفسه ، ص 181.

[3] – نفسه ، 183.

[4] – سورة فاطر: الآية [13_14].

[5] – سورة يونس: الآية [106_107] ، .

[6] – سورة النحل: الآية [20_21] ، .

[7] – ابو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ، ج5، ص253 .

وفي سنة 1938م أعلن ابن باديس عن تراجع المد الطرقي وانحسارها عن الحياة الدينية والاجتماعية في الجزائر فقال:"كان الناس كأنهم لا يرون الاسلام إلا الطرقية .وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم من التمسك بها و التأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في 'المنتقد' و 'الشهاب' حسب الناس أن تلك الأضاليل التي طال عليها الزمان ،ورسخها الجهل ، وأيدها السلطان محال ولقد صمد الشهاب للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد وعلى العقول من باطل الأوهام وعلى الاسلام من زور وتحريف وتشويه ...فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها... "[1]

ويذكر مبارك بن محمد الميلي انه :" منذ أخد العلماء الناصحون في الدعوة والإرشاد بالدروس والمقالات أخذ الشعب الجزائري ينتبه للخرافة ويمسح عن مرآة قلبه الخرافات الغاشية ويتحرك للفضيلة ، ويتقدم نحو الحياة العلمية بفتح المدارس والنوادي في سائر النواحي"[2].

وقد دعى العلماء المسلمون الى ضرورة تجديد العقيدة الإسلامية التي تمثل حقائق الدين الثابتة التي لا يعتريها تبديل أو تطوير،وتجديدها إنما يكون بالرجوع إلى القرآن والسنة في تحملها فهما وتصديقا وانفعالا وجدانيا ثم امتثالا واقعيا لمقتضياتها ، وفي هذا يقول البشير الإبراهيمي:"...لو أن الإسلام فهم على حقيقته وطبق على وجهه الذي جاء به من عند الله محمد بن عبد الله لكان هو الدواء النافع الذي يحل العقد ويرفع الإشكال ولكان هو الحكم في معترك الخلاف، والجالب بقوانينه وأخلاقه لسعادة العالم،لكن الإسلام جمد فذهبت خواصه ، وتفرقت مذاهبه فزهقت روحه وذهبت ريحه ، والذنب في ذلك كله في عنق علمائه ، تعصبوا للمذاهب المفرقة فبعدوا عن المذهب الجامع وهو كتاب الله وهدي محمد .." [3]، ولتخلص جمعية العلماء المرأة الجزائرية المسلمة من براثين الجهل دعت الى ترقيتها والنهوض بها، لأن ذلك منفعة لها وللمجتمع ككل .

---

[1] – عمار طالبي ، مصدر سابق ، ج2، مج2، ص369.

[2] – مبارك بن محمد الميلي ، "**الصوفية ومراتب العبادة** " مجلة الشهاب ، ج2 ، مج 9 ، غرة شوال 1351هـ الموافق لـ فيفري 1933م ، ص80.

[3] – أحمد طاب الإبراهيمي ، "**آثار البشير الإبراهيمي**" ، ط1، [د.غ.إ] ، بيروت،1997،ج4 (1952_1954) ، ص78.

والجدير بالذكر أن جمعية العلماء في مقاومتها لمفاسد وضلالات الطرقيين لم تحارب إلا أعداء الأمة المستغلين للعامة المتعاونين مع الاستعمار، فقد سعت جاهدة لتخليص الأمة الجزائرية من سلطانها ولم تحارب الزوايا كقواعد للطرق الصوفية ، بل حاربت انحراف كثير من الزوايا في عهد الجهل والاستعمار حتى صارت أوكار للضلال والفساد ،وعلى الرغم من أن الاستعمار قد شل اغلب حركة الزوايا التي أبت أن تسير في ركبه إلا أن حقيقة الزوايا في المغرب العربي هي أنها مؤسسات دينية وثقافية واجتماعية لعبت أدوارا هامة ومشرفة في فترات مختلفة من تاريخ المنطقة ونقصد بذلك زوايا العلم والقرآن والجهاد، إن وجود هذه الزوايا الصالحة ضرورة اجتماعية لما تقوم به من وضائف متنوعة في نشر العلم والتعاون على العمل والتكافل الاجتماعي ، فهي تعكس بوضوح روح جماعية مستلهمة من الدين والأخوة الإسلامية[1].

ثالثا / منهج العلماء في اصلاح المرأة المسلمة:

انطلاقا من الواقع المزري و المتدني الذي آل إليه حال المرأة الجزائرية راح رجال النهضة والعلماء المصلحون يعملون على التخفيف من هذه المعاناة ويدعون الى وجوب إصلاح شؤون المرأة من خلال الأخذ بيدها وتقدير شخصيتها حق قدرها فهي الأم والبنت وشريكة الحياة وعنها يقول ابن باديس : " الجزائرية بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا ولنا ، يحفضون أمانة الأجيال الماضية للأجيال الآتية ، ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره ،ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون "[2] .

وقد أبدى بن باديس اهتمامه بمكانة المرأة باعتبارها شقيقة الرجل وتشكل ركنا أساسيا في بناء الأسرة فإهمال تربيتها وتركها جاهلة هو هدم لهذا الركن ويبن علاقة التكامل بين الرجل والمرأة في قوله : " إن العناية بالرجل تستلزم العناية بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف وشريكته في البيت والحياة ، هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحدة البشرية إلا بكمالهما "، وحول مكانة الرجل في هذا التكامل يضيف بن باديس :" هما على ما بينهما من هذا التشارك والتلازم والإتصال ، فإنه هو المقدم عليها والقيوم على شأنها والمسؤول عن إنهاضها ."[3]

---

[1] – نوار خرخاشي نبيل ، مرجع سابق ، ص73.

[2] – عمار طالبي ، مصدر سابق ج1 ، مج2، ص 469 .

[3] – مجلة الشهاب ، **الرجل المسلم الجزائري**، مج5 ، ج10 ،جمادى الثاني 1348هـ ، الموافق لـ 10 نوفمبر 1929م ،ص 12.

ونفس الموقف نجده عند الإبراهيمي حيث يشبه علاقة التكامل بين الرجل والمرأة بجناحي الأمة التي لا يمكنها النهوض بدون العلم الموجه للطرفين إذ يقول :" الأمة كالطائر لا تطير إلاَّ بجناحين، وجناحيها الرجل والمرأة، فالأمة التي تخص الذكر بالتعليم تريد أن تطير بجناح واحد؛ فهي واقعة لا محالة".[1]

وأوجب –ابن باديس والإبراهيمي– تعليم المرأة تعليما لا يخرج عن دائرة الدين والأخلاق يليق بطبيعتها ووظيفتها الأسرية من معاشرة الزوج وتربية الأبناء التي خلقت لأدائها وهي أشرف الوظائف الإنسانية. هذه الوظيفة لا تؤدى على وجهها الصحيح إلاَّ بالعلم .

فقد ركز بن باديس على ضرورة معالجة الجوانب الأساسية في شخصية المرأة الجزائرية من تفقيه وتكوين وإعداد حتى تقدر على أداء مهمتها في الحياة على أكمل وجه بداية من قدرتها على القيام بشؤون بيتها والعناية بأمور أطفالها لأنها "... خلقت لحفظ النسل وتربية الانسان في أضعف أطواره {وحملته وفصاله ثلاثون شهرا }[2]فهي ربة البيت وراعيته والمظطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوضيفتها ،ونربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بها المرأة إمرأة،لا نصف رجل ونصف امرأة ، فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها ...فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها ".[3]

أما الإبراهيمي فيرجع إلى أن العلم حق من الحقوق التي منحها الإسلام إياها فيقول : " أن الإسلام ضمن لها حقوق الإنسان كاملة وحطها من جميع الجهات بما يجبر ضعفها الطبيعي ، وأقرها في أحضان البر والتكرمة بنتا وزوجا وأما ...وأعطاها من الماديات والمعنويات ما لم تعطها شريعة سماوية ولا قانون وضعي ، وألزمها أن تتعلم كما ألزم الرجل أن يتعلم ، لأنه سوى بينهما في التكاليف ، والتكاليف لا تؤدى إلا بالعلم ، وأوجب عليهما العشرة والعشرة لا تصلح إلا على العلم ، وجعلها مغرسا للنسل وغارسة للخصائص فيه ومتعهدة له بالسقي

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ج4 ، ص 170 .

[2] – سورة الأحقاف: الآية [15].

[3] – عمار طالبي ، مصدر سابق ج1 ، مج2، ص 469 .

والإصلاح ، وكل هذا لا يتم إلا بالعلم ...فإذا جهلت المرأة أتبعت الزوج ، وأفسدت الأولاد وأهلكت الأمة ..." [1]

ويصف الإبراهيمي حال المرأة المسلمة الجزائرية ويرد على من دعى الى لحبسها في البيت ومنعها من التعلم باعتبار أن خروجها للتعلم فيه مضرة وإخلال بواجبها وخروج عن فطرتها مستندين بذلك إلى أدلة ضعيفة أو واهية الأسانيد، فقال :"... كانت المرأة المسلمة في الجزائر إلى عهد قريب لا يتجاوزن أربعين سنة، محرومة من كلّ ما يسمى تعليماً إلا شيئاً من القرآن يؤدي إلى معرفة القراءة والكتابة البسيطة، وهذا النوع على سذاجته خاص ببعض بيوت العلم، ولا يجاوزون بالبنت فيه الثانية عشرة من عمرها....، والسبب في هذه الحالة نزعة قديمة خاطئة راجت بين المسلمين، وهي أنَّ تعليم البنت مفسدة لها...هذه هي علة العلل في الحالة التي أفشت بالمرأة المسلمة الى هذه الدرجة التي مازالت عقابلها سارية في المجتمع الإسلامي ولازالت لطخة عار فيه ، وإن المرأة إذا تعطلت عطلت الرجل وإذا تأخرت أخرته ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلا هذا الضلال الذي شوه الدين وقضى على المرأة بالخمول فقضت على الرجل بالفشل ، وكانت نكبة على المسلمين ..."[2]

وقد ركز ابن باديس دعوته إلى تنظيم حملة توعية واسعة تطالب الأولياء بضرورة تعليم الفتاة العلم الديني الذي يجعلها أماً صالحة ومربية ناجحة تساهم في صناعة رجال يحبون الجزائر ويعملون على نهضتها وحمايتها من أي إعتداء ، والتعلّم في فكر ابن باديس حق إنساني للجنسين الذكور والإناث على حد سواء ، وواجب على العلماء نشره بينهم ، يقول ابن باديس: "نشر العلم بالقلم في أبنائنا وبناتنا في رجالنا ونسائنا على أساس ديننا وقوميتنا إلى أقصى ما يمكننا أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعاء وثمار جهادها في أحقاب التاريخ المتطاولة، وبذلك نستحق أن نتبوأ منزلتنا اللائقة بنا والتي كانت لنا بين الأمم "[3].

ويرى ابن باديس أن الطريق المؤدي إلى تحقيق ذلك هو طريق التعليم الديني الذي يحفظ عليها دينها وقوميتها وأخلاقها لا التعليم الأجنبي الذي هدفه إخراج جيل مشوه، يحتقر دينه وشعبه ويتنكر لأصله وأمته :"تعليم البنات تعليماً يناسب خلقتهن ودينهن وقوميتهن، فالجاهلة

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ج4 ، ص 50 .

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ج4 ، ص ص 263_264 .

[3] – عمار طالبي ، مصدر سابق ج2 ، مج1، ص 470 .

التي تلد أبناء للأمة يعرفونها مثل أمهاتنا–عليهن الرحمة– خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها، تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم ، ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة نكون–بإذن الله، قد نهضنا نهضة صحيحة نرجوا من ورائها كل خير وكمال[1].

ونفس الموقف نجده عند الإبراهيمي الذي يصف التعليم الأجنبي بالفجر الكاذب ومن أسباب ذلك "...أنه بدأ بتعّلم اللغة الفرنسية وهي لغة ليست من روحها ولا من تقاليدها، واللغة الأجنبية إن حسنت فإنما تحسن بعد اللغة المتصلة بالروح والتاريخ والمقومات الأصيلة فهي بالنسبة للجزائرية ربح، أما رأس المال فهو اللغة العربية..."[2] .

وعن نتائج هذا التعليم يضيف الإبراهيمي :" ...ماذا أتى به هذا التعليم من نتائج في أمة تبلغ عشرة ملايين أو تزيد ، ونصف هذه الملايين نساء ، إنه لم يأتي بنتيجة تذكر لأن معظم المتتبعات لهذا التعليم يقفن عند حد الشهادة الابتدائية ثم يلزمن بيوتهن، وفي الغالب يقبلن على الحرف النسوية اليدوية وقليلات منهن ينتقلن إلى التعليم الثانوي، وأقل من القليل يجاوزنه إلى العالي. وكانت النتيجة إلى هذا العهد أن بضعة آلاف لا تجاوز جمع القلة من البنات المسلمات يحملن الشهادة الابتدائية الفرنسية، وعشرات يحملن الكفاءة للتعليم فهن معلمات في المدارس الابتدائية الفرنسية الحكومية وعدد قليل منهن يحملن ليسانس آداب إحداهن أستاذة في مدرسة ثانوية...، وتوجد بالجزائر دكتورة واحدة ممتازة في الطب...، واثنتان صيدليتان، وواحدة محصلة على شهادة التبريز في الآداب الفرنسية....، والصنف الوحيد من أصناف العلم الذي كثرت حاملات شهادته من الجزائريات هو القبالة. فالقوابل المسلمات كثرن في العهد الأخير ولعلهن جاوزن المئة ... هذا ما سميناه بالفجر الكاذب لتعليم المرأة الجزائرية وقد أتى رغم هذه النتائج الطفيفة ، ويقيننا أنه يأتي بنتائجه الكاملة بعد أن جاء الفجر الصادق"[3].

ويقصد بالفجر الصادق المنهج الإصلاحي والتربوي لجمعية العلماء المسلمين إذ يقول :" أما الفجر الصادق لتعليم الفتاة الجزائرية فهو يبتدأ من سنة 1931، يوم تكونت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لإحياء العروبة والإسلام بالقطر الجزائري ، ومغالبة الاستعمار عليهما

[1] – عمار طالبي ، مصدر سابق ، ج1 ، مج2، ص 470 .

[2] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ج4 ، ص264 .

[3] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ج4 ، ص 265 .

وخطت خطواتها المشكورة في التعليم العربي الإسلامي على نظم عصرية...ولهم اليوم نحو مئة وخمسون مدرسة عربية حرة تحتوي على نحو خمسين ألف تلميذ من بنين وبنات..." [1]

وقد أولى بن باديس اهتماما بالغا بقضية تعليم المرأة ، ومنحها الأولوية في مشروعه الإصلاحي ، بأنّ أجاز التعليم المجاني للبنات سواء القادرات أو العاجزات منهنّ و أعفاهن عن دفع النفقات، وذلك تشجيعا لهن على الإقبال على الدراسة والمواظبة عليها كي تتكون منهن المرأة المسلمة المتعلمة ،وفي ذلك يقول :" فأما البنون فلا يدفع منهم واجب التعليم إلا القادرون ، وأما البنات فيتعلمن كلهن مجانا لتكون منهن بإذن الله المرأة المسلمة المتعلمة " [2].

وكان الشيخ بن باديس يخرج بنفسه ليتجول على الناس في المتاجر ويجمع الإشتراكات والإعانات لتعليم البنات،وعندما يجيبه أحد بأن لا بنت عنده ، يطلب منه مبلغا من المال لينفق على بنت أخرى لغيره[3] ، كما حث على تثقيف البنات في المدارس ، وتعليم النساء في المساجد أين تتخصص لهن أجنحة خاصة لسماع الدروس خاصة يومي الخميس والجمعة ، كما ندد بالعادات والتقاليد البالية التي فرضت عليها ودعى الى نبذها .[4]

ومن أعلام الجمعية الذين اهتموا بقضايا المرأة أيضا الأمين العمودي[5]،وهو مزدوج الثقافة متمكن من اللغتين العربية والفرنسية ما جعله يعالج موضوع المرأة بشيء من الإنفتاح نحو ماهو فرنسي مع التركيز على مبادئ الأصالة العربية الإسلامية ، جاء رأيه أن تتعلم الفتاة حدود ما ينفعها إذ يقول:" أنا لا يروقني أن أرى الفتاة المسلمة من حاملات البكالوريا أو من أعلام

---

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ج4 ، ص 266 .

[2] – مجلة الشهاب ، **جمعية التربية والتعليم** ، ج2 ، مج7 ،غرة شوال 1349 ، الموافق ل مارس 1931 ، ص 116

[3] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ...مرجع سابق ، ص ص 27_ 28.

[4] – مازن صالح المطبقاني ، " **عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**" ، ط2 ، دار القلم ، دمشق ، 1999 ، ص 62 .

[5] – **الأمين العمودي** (1308 - 1377هـ / 1890 – 1957: كاتب صحفي، من رجال الحركة الاصلاحية، ولد في وادي سوف. تعلم في بلده ثم في قسنطينة، فنال شهادة بالمحاماة والترجمة ، امتهن صناعة المحاماة الشرعية، فاشتهر وذاع صيته. شارك في الحياة السياسية، واختير أمينا عاما لجمعية العلماء المسلمين 1931 نظرا لمقدرته الكتابية بالعربية والفرنسية ،أنشأ جريدة (La Défence) – أي الدفاع– للدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، فكانت، كما يقول المدني: مرآة مشرفة تصور الرأي العام الجزائري أصدق تصوير، يقرأها أعداؤه فيعترفون له بالمهارة والألمعية"كما شارك في أكثر الصحف الإصلاحية ، أنظر : عادل نويهض، مرجع سابق ،ص 244.

الدكاتره ، بل حسبي أن أجدها تعرف الضروري من دينها وتتقن كيفية الإنتفاع بحقوقها كما تتقن آداء واجباتها بكافة أنواعها ، وتعلم من ذلك ماهي الشروط اللازمة توفرها في البنت البارة والزوجة الصالحة والأم المثلى،فتعلمها عندئذ يجب أن يكون عربيا إسلاميا قبل كل شيء...على أنني لا أحكم بمنع إرسال بناتنا الى المكاتب الفرنسية قبل تجاوزهن السن الذي يجوز فيه ذلك،مع الإحتياط التام والتحفظ الحقيقي بما يلازم عوائدنا وأخلاقنا الخاصة بنا..."[1]

وقد لعب الطيّب العقبي دورًا هامّاً في مختلف مناحي الحياة بعد عودته إلى الجزائر من مهجره في بلاد الحجاز بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، وتجسدت دعوته الصريحة في خطبه الدعوية أو في كتاباته المستفيضة في الجرائد منها ما نشر في الشهاب حيث دعى الى تعليم البنات بحسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية بقوله :" ...علموا بناتكن وأدبوهن حسب ما تقتضيه الشريعة الإسلامية ، حتى يمكن لأزواجهن أن يعيشوا معهن عيشة رضية ويحيوا جميعا حياة طيبة."[2]،وقد اعتبر ترقية المرأة الجزائرية ضرورية وحتمية لاستمرار العلاقة بينها وبين زوجها ، ودعى الى تعليمها وتهذيبها في كتاباته وأشعاره وفي ذلك يقول[3] :

ما حياة المرأ مع زوج ليست أديب

غير سجن أبدي عظمت فيه المصيبة

أما مبارك الميلي فقد ذهب هو الآخر الى أن النهضة الجزائرية لن يكتب لها النجاح إذا كانت أبواب التعليم مفتوحة في وجه الفتيان وموصدة في وجه الفتيات حيث نبه الى ضرورة تدارك ذلك ، فقد أيد تعليم البنت ولخص أسباب ذلك للإعتبارات التالي :

– أنّ فساد العقول وانحطاط الأخلاق كانا شاملين للأمة ذكورها وإناثها ، فيجب أن يكون إصلاح القلوب وترقية العقول عامين في الذكور والإناث.

– أنّ المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية ، فلتكن شريكته في التربية والتهذيب ، فلا ينبغي أن تحرم من حقها في ذلك .

---

[1] – أحمد مريوش ، مكانة المرأة ...مرجع سابق ، ص90.

[2] – نفسه ، ص 79.

[3] –أحمد مريوش ، مرجع سابق ، ص 80.

– أنّ الأمّ هي المدرسة الأولى التي يتلقّى فيها الأبناء معلوماتهم الأولية ، التي تصير كطبيعة لهم فعلينا أن نصلح هذه المدرسة لتهيأ لنا أبناء لا يتعاصى عليها إصلاحهم .

– أنّ الأنثى مُكلّفةٌ في حكم الإسلام بمثل ما يُكلّف به الرجل،لا يفترقان إلا فيما يرجع للقوة والسيادة ، فيختصّ الرجل بالإمامة وولاية مناصب الحكم، أما فيما يعود إلى الضعف والحنان فيختص بالأنثى.

– أنّ المرأة شريكة الرجل في منزله وقرينته في حياته، لا غنى لأحدهما عن الآخر، فلا بدّ من تشاركهما في التهذيب وتقاربهما في التثقيف[1].

إذا فقد حضي موضوع المرأة بالاهتمام البالغ من أبرز رجال الجمعية وقادتها ، حيث دعوا الى إصلاح أحوال المرأة وترقيتها حسب ما تتطلبه الشريعة الإسلامية التي ضمنت لها حقوقها الكاملة ، ودعت الى ترقيتها وتعليمها ما ينفعها لأداء مهمتها في المجتمع على أكمل وجه ، لأنها شقيقة الرجل وشريكته وهي الأم والمدرسة الأولى لأبنائها رجال المستقبل ، هذه الوضعية جعلتها تحتل مكانة هامة في مشروع التربية والتعليم الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين .

رابعا / جمعية العلماء المسلمين ودورها في تعليم المرأة الجزائرية :

بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الخامس من شهر ماي سنة 1931م، فرضت الحركة الإصلاحية في الجزائر نفسها كإحدى الحقائق السياسية والاجتماعية في الجزائر، و أصبحت الجمعية بسرعة، أحد العناصر المحرّكة والحاسمة في الحياة الاجتماعية والثقافية للمجتمع الإسلامي الجزائري.[2]

في سنة 1932 أنشأ بن باديس جمعية في قسنطينة أسندت إليها مهمّة تربية وتعليم البنين والبنات هي 'جمعية التربية والتعليم الإسلامية'، وتولّى رئاستها بنفسه ،وكانت أول جمعية من نوعها في قسنطينة ،[3] وقد ارتبطت التربية بالتّعليم في منهج العلماء الإصلاحي ارتباطًا وثيقًا، وهذا ما حدده القانون الأساسي الذي وضعه ابن باديس لتأسيس جمعية التربية والتعليم؛ إذ

[1] – مبارك الميلي ، **"تعليم المرأة الكتابة"** ، "مجلة الشهاب" ، ج6 ، مج12 ، جمادى الأولى وجمادى الثانية 1355هـ الموافق لـ أوت 1936، ص 254.

[2] – علي مراد ، مرجع سابق ، ص 139 .

[3] – عمار طالبي ، مصدر سابق ، ج1، مج2 ، ص،ص185،184 .

أورد فيه: " بُني القانون الأساسي من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم باللّسانين- العربي والفرنسي-وتعليمهم الصنائع اليدوية".[1]

لم يكتف بن باديس بتعليم البنت على هذا الحد ، بل سعى الى إعداد بعثات علمية من أجل توسيع دائرة العلم لديها ، فعندما اطلع على إعلان في مجلة الرابطة الإسلامية يفيد بأن مدرسة دوحة الأدب في دمشق خاصة بتعليم البنات ، سارع لمكاتبة مديرتها برسالة [2]، ومن حسن الحظ أن هذه المديرة كانت جزائرية الأصل حفيدة الأمير عبد القادر ، وقد أجابته بسرعة بالقبول والترحاب أوائل عام 1939، فكلف مدير التربية والتعليم الشيخ السعيد بن حافظ أن ينتخب عشرة بنات لتكوين البعثة ويعلم أولياءهم بذلك لإعدادهن للسفر الى دمشق خلال العام الدراسي 1940/1939،وكانت الفرصة عظيمة جدا لدى التلميذات والأولياء والأساتذة والمعلمين والمدرسة ، وتم تعيين تلميذات من القسم النهائي وهذه أسماؤهم(سليمة بن البرج،سليمة حافظ ،نعناعة ونيسي،وأختها حليمة،صويلح فاطمة بنت عبد الرحمن،فلة بن البارود ، الرامضة بوعبد الله،فاطمة رودسلي ، عائشة الدمق،وأختها ياسمين)، وكان من المفروض أن تسافر البنات الى دمشق في شهر أكتوبر1939،ولكن إندلاع الحرب العالمية الثانية قبل ذلك في شهر سبتمبر عطلهن ، ثم توفي بن باديس يوم 16 أفريل 1940 فتعطل المشروع تماما[3]

وقبل ذلك ولما تأسست جمعية التربية والتعليم في قسنطينة ، كان بن باديس قد أعطى أوامره لاتباع منهجها في كل مدارس جمعية العلماء على مستوى الجزائر كلها ، فتم إنشاء دار الحديث بمدينة تلمسان التي أسسها الشيخ البشير الإبراهيمي وتم افتتاحها عام 1937 [4].

وقد لعبت دار الحديث دورًا بارزًا في تعليم البنات المسلمات ، واستطاع الإبراهيمي إقناع أهالي تلمسان بإرسال بناتهم إلى مدرسة الجمعية هذه ، وبسرعة تزايد عدد التلاميذ حتى وصل

[1] – جمعية التربية والتعليم ، مجلة الشهاب ، ج2 ، مج7 ،مصدر سابق ، 115.

[2] – انظر نص الرسالة في الملحق رقم 1، المخطوط ، ص 86 ، والنص الالكتروني ، ص 87.

[3] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ...مرجع سابق ، ص30.

[4] – نفسه ، ص27.

300 تلميذ ما بين الأولاد والبنات وكان النجاح غير منتظر مما أدى الى توسيع المدرسة سنة 1954، واجتهدت هذه المدرسة في تعليم طالباتها لغة القرآن والأناشيد الهادفة ، وهذا ما ذكرته زهور كاهية الثاني وهي أحدى طالبات دار الحديث في قولها :" كنت أتابع الدروس بمدرسة الحديث كان الأساتذة يجتهدون ليعلموننا قراءة وكتابة اللغة العربية والأشعار المختارة ، كانت تتمحور دائما حول حب الوطن ، والأناشيد التي كنا نتعلمها هي : من جبالنا ، موطني ، شعب الجزائر،حيوا الشمال الإفريقي،وهذه الأنشودة مهداه لشهداء 8 ماي 1945."[1]

وقد أنشأ الشيخ عبد اللطيف سلطاني[2] مدرسة الهدى ببلدته القنطرة ، وأدخل فيها تعليم البنات[3]، ومما جاء في مذكراته عن هذه المدرسة :"... وأدخلت في التعليم تعليم البنات مع الإشتغال بتوسيعها بإعانة شباب القنطرة الناشط ، فتم ذلك سنة 1945، وفتحت رسميا في حفل رائع في يناير 1947، بحضور رئيس جمعية العلماء الشيخ البشير الإبراهيمي ،وعلماء تلك الناحية ببسكرة باتنة وعين التوتة" [4].

وفي بسكرة نشط الشيخ محمد خير الدين مع الشباب البسكري في تأسيس جمعية خيرية لإعانة الفقراء والمساكين وتعليم البنين والبنات بإسم "مدرسة التربية والتعليم "وبعد السير قدما في التعليم وزاد إقبال الطلبة وضاق بناء المدرسة ، اجتمع أعضاؤها وقرروا بناء رحب جديد

---

[1] – جيلالي صاري ،" **بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1950/1850)**"، تر : عمر المعراجي ، منشوراتANEP ، الجزائر 2007 ، ص ص 331_ 332.

[2] – **عبد اللطيف سلطاني:**ولد الشيخ يوم الأحد فاتح ربيع الأول سنة 1320هـ الموافق لـ 8جوان 1902م،قتل والده وعمره سنتان وثمانية شهور فواصلت والدته مسؤولية تربيته وإخوته وكانت محفزة له على التعلم وطلب العلم،انتقل سنة 1916م إلى بلدة سيدي عقبة فحفظ شيئا من القرأن الكريم ثم انتقل إلى بلدة طولقة إلى زاوية الشيخ علي بن عمر رحمه الله ، فأتم حفظ القرآن بها. بعد ذلك التحق بجامع الزيتونة سنة 1922م للدراسة هناك ،حتى تحصل على شهادة التطويع سنة 1929،كان الشيخ عضوا عاملا بالجمعية منذ تأسيسها ثم انتخب سنة 1936م عضوا إداريا في المجلس الإداري ، كما استغل مهنة التدرسي وفي بلدته أنشأ مدرسة الهدى ، للمزيد أنظر: جريدة 'الشروق اليومية' ، **الشيخ عبد اللطيف سلطاني،"رحلة السجون والإقامة الجبرية في جزائر الإستقلال"** ، سلسلة حلقات حول مذكرات عبد اللطيف سلطاني من العدد 3372 الإثنين 1 أوت 2011، الموافق لـ1رمضان1432،الى العدد 3382، الجميس11 أوت 2011 الموافق لـ 11 رمضان 1432.

[3] –أنظر صورة قسم الإناث في مدرسة الهدى بالقنطرة الطبقات 2_3_4 في الملحق رقم2 ،ص 90.

[4] – جريدة الشروق،مرجع سابق،الحلقة الرابعة،العدد 3676،الجمعة 5 أوت2011مالموافق لـ05 رمضان 1432هـ ص 10.

لتعليم البنات والبنين، وفي ذلك يقول الشيخ محمد خير الدين :" شرعنا في بناء المدرسة بنشاط مكثف ، وبعد الانتهاء من البناء سنة 1949م أقمنا إحتفالا لافتتاح المدرسة ، وبهذه المناسبة دعونا الشيخ البشير الإبراهيمي رئيس جمعية العلماء المسمين الجزائريين لرئاسة الإحتفال بهذا الإفتتاح ..."[1] .

كما كان للنساء نصيب في هذا الحفل ما يبرز مكانتهن في هذا الصرح العلمي إذ يقول الشيخ :"... وخرجنا من إحتفال الرجال لتستعد المدرسة لحفلة النساء...وحل الموعد فأقبلت عقائل بسكرة من كل صوب ، وتولى الإشراف على النظام لجنة منهن خصصت لذلك وتولت تلميذات السنة الرابعة تنفيذ برنامج الحفلة وإنشاد عدة أناشيد في أولها ووسطها وآخرها فلما امتلأت بهن الأقسام والفناء الفسيح دخل الأستاذ الأكبر _الشيخ البشير الأبراهيمي_ رئيس جمعية العلماء الى إدارة المدرسة وألقى عليهن بواسطة مكبر الصوت درسا بليغا عاليا جعل موضوعه قوله تعالى :{ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْواجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها...} ، وأراد الله أن لا يحرمنا من هذا الدرس ، فقد كان جماعة من المعلمين وأعضاء جمعية المدرسة مكلفين بالمراقبة والمحافظة خارج المدرسة بعيدين عنها ، فأسمعنا مكبر الصوت الدرس كله واضحا جليا."[2] ، أما عن المنهج التعليمي فقد انتهجت الجمعية في مدارسها تعليم قواعد اللغة العربية ، والمحفوضات العربية ،والدروس الدينية والفقهية والحساب، والسيرة النبوية والقرآن[3] ، والتاريخ وعن هذه المادة تذكر زهور لونيسي[4] وهي إحدى تلميذات الجمعية:"كان التاريخ

---

[1] – محمد خير الدين ، مصدر سابق ، ج1، ص ص 128_130.

[2] – نفسه ، ص 131.

[3] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ...مرجع سابق ،ص51 .

[4] –**زهور لونيسي**: من مواليد ديسمبر 1936 بمدينة قسنطينة ابنة علي وزكية ونيسي ، درست في مدرسة التربية والتعليم ، حائزة على شهادة الابتدائية سنة 1955 بالمرتبة الأولى على المستوى الوطني بمدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، معلمة في المدارس الحرة ومجاهدة في صفوف جيش التحرير الوطني منذ 1956الى غاية الاستقلال بالولاية الأولى ثم الولاية الرابعة ، واصلت تعليمها بعد الاستقلال وتحصلت على عدة شهادات جامعية في الأدب والفلسفة وعلم الاجتماع. وهي أول امرأة جزائرية تقلدت منصب الوزير وزيرة للشؤون الاجتماعية في 1982م، ثم وزيرة للتربية الوطنية في سنة 1986. صدرت لها مجموعة كتب منها :الرصيف النائم قصص 1967م،على الشاطئ الآخر قصص 1974م،من يوميات مدرسة حرة رواية 1978م، لونجا والغول رواية 1994، عجائز القمر قصص 1996م، روسيكادا قصص1999م مسار امرأة مذكرات2013 أنظر:يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية...المرجع السابق،ص ص54_55.

تاريخ بلادي بما فيها من تراث وآثار وتجارب وتيه وأمجاد وبطولات..."[1]، وقد كان المصدر الرئيسي للبرامج العامة التي تنضوي تحتها جميع المواد والفنون هو شعار الجمعية "الإسلام ديننا ، والعربية لغتها ، والجزائر وطننا "،هذه الدعائم التي ترعب الإستعمار وترهبه وتفقده صوابه، لأنه يتوهم بعد قرن من الإحتلال أنه قضى على معالم الشخصية الجزائرية في هذا الوطن[2].

لكن الوعي الوطني الإصلاحي والشعور بالمسؤولية والواجب نحو الأمة جعل مدارس الإسلامية تدخل في منافسة شديدة مع المدارس الفرنسية ، فكان كل طرف يريد أن يظفر بالتلاميذ ويعلمة بطريقة أفضل من غيره[3] هذه المستجدّات أثارت قلق الإدارة الاستعمارية في الجزائر، فأخذت في التضييق على التعليم العربي الحرّ ومصادرة صحفه ومطاردة رجاله من معلّمي جمعية العلماء الذين سيقوا إلى القضاء وسُجنوا. وفي ذلك يذكر الإبراهيمي :"بلغت قضايا المحاكمات للمعلمين(بتهمة التعليم)سبعا وعشرين قضية حكم في جميعها بالتغريم وفي ثلاثة منها بالتغريم والحبس...وفي واحدة منها بالسجن والتغريم المضاعف ..."

ويضيف الابراهيمي مطالبا بالدفاع عن هذا التعليم والوقوف في وجه الاستعمار بقوله :"إن الإستعمار ينظر الى مدارسكم بعين الغضب، فهل أنتم ناظرون إليها بعين الرضا ، ومقدمون إليها ما ينشأ عن الرضا من تأييد والتفاف واستماتة في الدفاع عنها ؟"[4]والملفت للنّظر،أنّه بينما كانت جمعية العلماء تعلم بالعربية فقط وتطالب بحرية التعليم بها وبترسيمها كانت لا تمانع في أن يتعلّم أبناء الجزائر باللغة الفرنسية أيضا،بل كانت تعتبرها من العلوم"الآلية"التي يحتاجها المواطن في حياته[5]

لقد عرفت فترة رئاسة الإبراهيمي للجمعية توسّعًا ملحوظًا في تعليم البنت الجزائرية ، في مجتمع كان يعتبر أن تعليم البنت إحدى الكبائر ، وقد جادل الإمام الإبراهيمي جدالا كبيرا عن حقها في التعليم ، بل عن واجبه عليها ، فالإسلام جعل العلم فريضة على المسلم ذكرا كان أو أنثى .

---

[1] – يحي بوعزيز، المرأة الجزائرية...المرجع السابق ، ص62 .

[2] – نفسه ،ص51 .

[3] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج6 ، ص334 .

[4] – أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار البشير ....، مصدر سابق ، ج2،ص 433.

[5] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، مرجع سابق ،ج6 ، ص334 .

وقد ساء الاستعمار وأتباعه أن تُقبل البنت الجزائرية على مدارس جمعية العلماء، فأشاع عن طريق أذنابه في الجزائر، أنّ مدارس الجمعية عرّضت الأعراض للتمزيق، وسل الإمام الإبراهيمي قلمه البتار على أولائك الرهط الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، وكشف هدف تلك الحملة: " إنّ الاستعمار متشائم بتعليمها –الجمعية– للبنت المسلمة، لأنّ نتيجته ستكون بنت صالحة، تصبح غدًا زوجة صالحة، وبعد غدٍ أما صالحة، وهالَه أن تعمُر البيوت بالصالحات، فيلدْن جيلاً صالحا، صحيح العقائد، متين الإيمان، قويم الأخلاق طموحًا في الحياة، فتطول به غصّته ثم تنتهي به قصّته... ولأنّ الاستعمار بعيد النّظر، عارفًا بما للمرأة في أمّتها من الأثر؛ فهو لذلك حرّكهم وما زال يحرّكهم لإثارة هذا الغبار الأسود في وجه جمعية العلماء لزعزعة ثقة الأمّة بالجمعية في خصوص تعليم البنت"[1]

شهد التعليم الذي تبنته جمعية العلماء ازدهارًا ملحوظًا ، وقد قسم الإبراهيمي في التقرير الذي ألقاه في 15 أكتوبر 1951م، مراحل تطور التعليم الى ثلاثة حيث قال:"كان الطور الأول طور هدم ورفع أنقاض ، وكان الطور الثاني طور بناء وتشييد ...وفتحت عشرات المدارس فيما بين 1943_1945 ، وجاءت حوادث 8 ماي فأعادت النكسة وشلت الهمم والعزائم ...وجاء الطور الثالث يعدوا سابقا في صيف 1946م متزما بالحزم والتصميم والنظام والترامي الى الكمال ..." [2] وكان انتشار المدارس من نتائج جهود هذا الطور حيث يضيف الإبراهيمي :" بلغ عدد المدارس الابتدائية مائة وخمس وعشرين مدرسة (باسقاط المعطل منها إداريا) وتشمل هذه المدارس على أكثر من ثلاثمائة فصل وبلغ عدد التلاميذ النهاريين الملازمين 16286 ، الذكور منهم 10590 ، والاناث 5696 ." [3] وهذا الاحصاء خاص بمن شارك في إمتحانات هذه السنة 1951.

ورغم الجهود التي بذلها العلماء في إقناع أولياء الأمور بإرسال أبنائهم للتعلم نجد أن العدد ضئيل مقارنة بالعدد الهائل المحروم من التعليم وكان الابراهيمي يدرك حقيقة الأمر ووجوب مضاعفة الجهد حيث يقول :" الإنقطاع أثناء السنة كثير ، لأن الأسباب كثيرة في أمتنا ، فإذا أسقطنا هذا العدد القليل من ذلك الرقم الهائل المحروم من التعليم بجميع أنواعه ، وهو مليونان

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار البشير ....، مصدر سابق ،ج2 ، ص 22.

[2] – نفسه ، ص428 .

[3] – نفسه ، ص432 .

من شباب الأمة وأطفالها ، وجدنا أنفسنا لم نزل في مبتدأ المرحلة ،وسمعنا الواجب ينادينا ويحثنا على مضاعفة الجهد لإنقاض هذا الجيل البائس من الأمية والجهل ، فإذا لم نفعل أضعنا جيلا كاملا ، وحققنا أمنية الإستعمار فيه ." [1]

لقد تضاعفت الجهود وبرزت جهود الجمعية في تعليم البنت الجزائرية ، فبالعودة إلى قوائم النّاجحين في امتحان شهادة المدرسة الابتدائية [2] العربية بمدارس جمعية العلماء سنة 1954، قبيل اندلاع الثورة التحريرية ، نجد أن عدد الناجحين من الإناث معتبر ، بل نجد نسبة الناجحات منهن أضعاف عدد الذكور في بعض المراكز الكبرى كقسنطينة ووهران وتلمسان ، والجدول التالي يبين عدد المشاركين والناجحين في الإختبار [3].

المركز	عدد المشاركين	عدد الناجحين	عدد الذكور	عدد الاناث
الجزائر العاصمة	24	16	11	5
قسنطينة	53	37	12	25
وهران	29	12	4	8
تلمسان	50	41	8	33
باتنة	55	41	28	13
الأغواط	15	7	6	1
سطيف	41	31	16	15
تبسة	28	18	14	4

واذا كانت الجمعية قد فتحت أبوابها للفتاة الجزائرية فإن تأسيس معهد ابن باديس بقسنطينة سنة 1947 يعد نقلة نوعية في سياسة التكوين والتربية [4]، وجاء انشاء هذا المعهد

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي ، آثار البشير ...، مصدر سابق ،ج2 ، ص433 .

[2] – تعبر شهادة التعليم الابتدائي من خلال شكلها وضمونها على مبادئ الاسلام والعروبة والوطنية ، التي ناضلت من أجلها الجمعية ، كما أنها باسم الشعب الجزائري تعبيرا على أنه حل محل حكومة في كل شهادة علمية في العالم ، وجمعية العلماء التي حلت محل وزارة التربية والتعليم في كل دول العالم المستقلة ، ولجنة التعليم التي حلت محل أكاديمية التربية والتعليم أو مديرية التربية والتعليم في الدول المستقلة ، أنظر شهادة الدراسة الإبتدائية في الملحق رقم3 ، ص91 .

[3] – محمد خير الدين ، مصدر سابق ، ج1، ص ص 140_148.

[4] – أحمد مريوش ، مكانة المرأة ... ، مرجع سابق ، ص 97.

بعد أن انتشر التعليم الإبتدائي وكثر الحاملون لشهادته الأمر الذي تطلب إنشاء تعليم ثانوي والتطلع الى التعليم العالي وعن هذا المعهد يذكر الإبراهيمي :" قضينا عن الأمة بإنشاء هذا المعهد حاجتين في النفس :إحياء إسم أخينا واضع الأسس في بناء النهضة التعليمية في الجزائر الإمام الرئيس عبد الحميد بن باديس بنسبة المعهد إليه ، وتسجيل الإعتراف بفضله علينا وعلى الأمة ...فقد نبتت في ذهن الإمام المرحوم فكرة هي إنشاء كلية إسلامية عربية في الجزائر تدرس فيها أسرار البيان العربي ، وحقائق القرآن والسنة والتاريخ الإسلامي والفضائل الإسلامية مفصلة على الغاية التي ترمي إليها حركة الإصلاح الديني والإجتماعي التي استفحل أمرها في الجزائر ...وكان رحمه الله أوسعنا استرسالا مع الخيال في تشييد الكلية ... ، والثانية إقامة قنطرة يمر منها أبناء الأمة الذين قطعوا مرحلة التعليم الإبتدائي _الى التعليم الثانوي وهو النتيجة الطبيعية لنهضة التعليم الإبتدائي ...فإذا تم وانتشر وكثر الحاملون لشهادته تطلب بطبيعته تعليما ثانويا ، فإذا توجهت الأمة إليه وجدت وآمنت بضرورته لحياتها اندفعت الى تأسيس مدارسه لأن العلم إذا انتشرت تباشيره في الأمة وخالطت بشاشته أرواحها أصبح كالسيل المتدافع يقذف تيارا بتيار وحين إذ يجب التفكير في الكلية والتعليم العالي ..." [1] .

وقد استقطب هذا المعهد العديد من الفتيات اللواتي زاولن الدراسة به ، وكان هدف الجمعية ، هو دمج الفتاة المتعلمة في حركة التعليم حتى تلقن غيرها ما تتعلمه ، ولذلك فلا غرابة أن نجد المرأة المتعلمة قد ساهمت الى جانب أخيها الرجل في مهنة التدريس ، وبالخصوص بعدما أكملت دراستها بالمعاهد العليا وأصبحت مؤهلة للتدريس ، ففي سنة 1951 أشارت تقارير جمعية العلماء الى حالة التعليم في مؤسساتها وذكرت عدد المعلمين الذي بلغ 275 معلم ومعلمة يشتغلون في 400 مدرسة إبتدائية ويؤطرون البنين والبنات [2].

وإذا كانت المرأة الجزائرية قد نالت حقها من الدراسة في الداخل فإن الضروف الصعبة والقاسية التي كانت تعيشها لم تسمح لها بالمشاركة في البعثات العلمية والطلابية التي كانت جمعية العلماء ترسلها الى الخارج ، باستثناء قلة قليلة من الطالبات اللواتي حالفهن الحظ في متابعة الدراسة ، وكانت أول بعثة خارج أقطار المغرب العربي باتجاه مصر خلال الموسم الدراسي 1952/1951م ، وقد احتوت هذه البعثة على 25 طالبا وطالبة ، وقد ارتفع العدد

[1] – أحمد طالب الإبراهيمي ، مصدر سابق ، ج2 ص ص 435_436.

[2] – أحمد مريوش ، مكانة المرأة ...مرجع سابق ،ص ص97_98 .

فيما بعد حيث أرسلت جمعية العلماء سنة 1955م بعثة أخرى الى المشرق العربي مكونة من 109 بين طالب وطالبة،ثم ارتفعت أعدادهن بعد قيام الثورة عام 1954م بسنوات قلائل الى عدة مئات [1].

لقد تناول العلماء المشاكل الأساسية التي تعاني منها الفتاة الجزائرية ، ودعوا الى تعليمها وترقيتها والنهوض بها بما يقتضيه دورها في المجتمع لأنها محور أساسي فيه ، وقد جاء نشاطهم الإصلاحي في ظرف عصيب كانت تمرّ به الجزائر ورغم الصعوبات التي واجهتهم ، فقد أثمرت جهودهم في بروز كوكبة من رائدات الإصلاح في الجزائر.

خامسا / نماذج لبعض الرائدات المصلحات :

أثمرت جهود العلماء وعلى رأسهم بن باديس أيما إثمار ، فقد فتح الطريق للمرأة الجزائرية لتنشط وذلل لها الكثير من الصعاب والعراقيل ، وتمكن من إقناع شريحة من المجتمع الجزائري بضرورة إخراج المرأة من أوضاعها المزرية وإتاحة الفرصة لها لتتعلم أساسا ولتشارك بعد ذلك في الحياة العامة الى جانب أخيها الرجل ، وفعلت مثله الحركة الوطنية خاصة تيار حزب الشعب الذي كانت له نفس السياسة داخل الجزائر ، فلا يمكن إغفال دوره في تشجيع المرأة على التعلم وخوض غمار السياسة على أي مستوى ، وهكذا ظهرت مجموعة من النساء في شكل نخبة تصدرن الحركة النسوية الإصلاحية بالجزائر، وأصبح البعض منهن يكتبن وينشرن في الصحف والمجلات ويؤلفن القصص وينظمن الأشعار ، ويشاركن في النشاط المسرحي ويمتهن التدريس والتمريض ، ويعالجن الموضوعات النسوية ، ويفكرن في مصير البلاد والعباد ، وكن بمثابة رائدات للنساء الجزائريات اللاتي سيكون لهن دور فريد من نوعه خلال ثورة التحرير الكبرى 1 نوفمبر 1954. [2]

اقتحمت المرأة ميدان الصحافة وأصبحت تحرر مقالات في الصحف والمجلات ، وصارت تدافع عن آرائها وحقها في التعليم ، فهذه إحداهن تستنكر العادات التي تقف حاجزا في المسار التعليمي منتقد بعض الأطراف التي ضلت منادية بحق المرأة في البيت والانجاب لا غير ، وتدافع عن حقوقها وكتبت في هذا السياق :" نحن نساء الجزائر لنا معتقلان معتقل الإستعمار

[1] – تركي رابح ، التعليم القومي... ، مرجع سابق ، ص 217 .

[2] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ... ، مرجع سابق ، ص 35.

الذي شيد الأفكار المسمومة حول المرأة الجزائرية المسلمة ، ومعتقل الجامدين الذين شيدوه بالعادات والتقاليد الموروثة ... والمعتقل الثاني أخطر من الأول لأنه وسيلة للمعتقل الأول ، افتحوا عنا باب معتقلكم فلولا هذا المعتقل لما بقي الاستعمار يعيش من دمائنا الى الآن ...اتركوا عنكم العادات القبيحة التي صدتكم عن تعليم البنت أنبذوا المنظار الأسود الذي تنظرون به الى ابنتكم عند بلوغها سنا معينة فتحرمونها من اتمام معلوماتها ، وإذا كانت تمارس مهنة من المهن لكي تواجه بها نكبات المستقبل سددتم الأبواب أمامها ، وويل للتي تكسر هذه الأبواب من ثعابين الإنسانية ...ينظرون إليها وإلى اسرتها بعين الإزدراء والإحتقار كأن الجريمة مكتوبة على جبينها." [1]

وقد أشادت إحداهن بفضل جمعية العلماء على المرأة فكتبت :" أنعم علي الله بالتعلم حتى اهتديت بفضل الله الى التمييز بين الحق والباطل ، وأدركت جليا غرض كل عامل وما ترمي اليه نفسه من صلاح وفساد وجمع شتات المتفرقين واستنتجت بعد نظر طويل أنه لا يوجد في الجزائر من يعمل بصدق وإخلاص لخير البلاد ومنفعة العباد إلا جمعية العلماء الفتية هذه الجمعية التي يكفيها شهرة تمسكها بالكتاب والسنة ... "[2]

ومن رائدات النشاط الصحفي الإصلاحي في الجزائر ليلى بن ذياب [3]، وقد وافقها الحظ في عام 1950 لما زار بيتها الصحافي التونسي نور الدين بن محمود صاحب جريدة ''الأسبوع''

---

[1] – فضيلة أحمد ، **"حق المرأة الجزائرية في النهضة"**، جريدة المنار، جريدة سياسية ثقافية دينية حرة ، المدير المسؤول : محمود بوزوزو ، العدد 46 ، السنة الثالثة ، المرافق لـ 24 جويلية 1953 م ، Rue Ravigo _ Alger ص4.

[2] – بنت سيدي عيسى (ز.هـ.ر) ، **"المرأة الجزائرية الحديثة والكتابة"** ، جريدة البصائر ، جريدة أسبوعية ع139، 18 رمضان 1357هـ ، الموافق لـ 11 نوفمبر 1938م ، ص2.

[3] – **ليلى ذياب** : ولدت في 16 حزيران 1934م ، هي ابنة الشيخ الأديب المصلح أحمد بن ذياب أحد أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، تيتمت من أمها زهي لم تكد تبلغ من العمر اربع سنوات ، فتوقرت على العناية بها جهود جدتيها ، وتأتي سنتها السابعة أو الثامنة لتلتحق بمدرية الهدى في قسمها القرآني ثم في قسمها التعليمي ، كما ودرست على يد والدها الشيخ أحمد بن ذياب وقد حفضت القرآن على يده ، وتعلمت قواعد اللغة العربية، كما كونت نفسها بنفسها من خلال مطالعة ما كانت تجده في مكتبة والدها من كتب الأدب. وكانت تنقتل معه عبر عدة مدارس الجمعية، وتساعده في إعطاء الدروس للبنات والنساء ، وقد اكتسبت من العلوم ما أهلها لأن تكون أول إمرأة تنشر مقالات صحفية في جريدة الأسبوع التونسية والبصائر الجزائرية حول هموم المرأة ومشكلاتها واهتماماتها ، أنظر: يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ... ، مرجع سابق ، ص ص 43_45.

الذي قدم إلى الجزائر لجمع الاشتراكات ومستحقات جريدته من الموزعين، فأطلعه أبوها على مقالاتها فأعجب بها والتزم بنشرها. وهكذا دخلت ليلى بن ذياب إلى عالم الصحافة من تونس، ثم نشرت مقالات في جريدة ''البصائر''، لسان حال جمعية العلماء الجزائريين بتشجيع من الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، [1]

ومن أمثلة ما كتبته في البصائر ، دعوتها الى تعليم المرأة مشيدة بدورها الفعال في المجتمع :" المرأة هي قوام المنزل وربة الدار وأم الأشبال ودعامة الأسرة وهي القدوة الحسنة لأبنائها إذا صلحت ، والسيئة إذا طلحت ...ولذلك فإن من واجبنا أن نعطيها حقها من الحرية وأن ندع لها الفرصة لأخذ قسطها من التعليم ونيل نصيبها من الثقافة السامية والآداب الرفيعة فنخرجها من ظلمات الجهل ونفكها من قيوده ونخلصها من وثاقها ونضيقها حلاوة العلم ..." [2]

وتعتبر زهور ونيسي إحدى الرائدات النسويات في المجال الصحفي ، درست في مدرسة التربية والتعليم، وكتبت في جريدة البصائر وصحيفة الشعلة وهي مازالت طالبة. وعملت معلمة في عدة مدارس جمعية العلماء [3]، وقد وقّعت العديد من المقالات باسمها في 'البصائر'، عالجت من خلالها بعض الشؤون الاجتماعية ، نذكر منها: 'من صميم الواقع: نتيجة مؤلمة' ، 'صوت المرأة' ، 'إلى التي استهانت بعذاب الله' ، 'المرأة الجزائرية والتّمدن' ، 'إلى الشباب' ، 'فائدة العلم والعمل' ، وقد تطرّقت بإسهاب إلى وضع المرأة وقيمتها في المجتمع الجزائري، فمن بين ما جاء في أحدى مقالاتها: " ...يجدر بالفتيات المتعلّمات على الأخصّ اليوم مداواة أدوائهنّ ومعالجة أمراض مجتمعهنّ، فهنّ نور بنات جنسهنّ الضئيل في هذه البلاد الفاقدة لنور الحياة.[4]

---

[1] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ... ، مرجع سابق ، ص 46.

[2] – ليلى بن ذياب ، "**تعليم المرأة** " ، جريدة البصائر ، مصدر سابق ، ع93، السنة الثالثة من السلسلة الثانية ، يوم الإثنين 9 محرم 1369هـ ، الموافق لـ 31 أكتوبر 1949م ، ص 34.

[3] – أنظر : مولود عويمر ، "**نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائرية** "، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس ، تم الإطلاع يوم السبت 9 أفريل 2016 سا: 11:58

http://www.binbadis.net/research-and-studies/aoma-studies-and-research/item/1516-aoma.html

[4] – زهير بن علي ، مرجع سابق ، ص 211.

هذه كانت نماذج لبعض الرائدات في المجال الصحفي من اللاتي عالجن الموضوعات الإجتماعية ، والنسوية على وجه الخصوص ، ومن جهة أخرى نجد أن المرأة الجزائرية قد ارتادت مجال التربية والتعليم ومن الرائدات في هذا المجال أيضا ، ليلى بن ذياب التي انخرطت في سلك التعليم سنة 1951م في مدينة العلمة وبرهنت على أنها معلمة لا تعرف الجلوس على الكرسي خلال آدائها لواجبها ، فهي تكتب الدرس في السبورة ، وتراقب التلاميذ وهم ينقلون الدرس ، وهي تقول لهذا حسن خطك ، ولهذا بين حروفك ، و للثالث لا تعجل في الكتابة ، وهي تسأل مرة وتشرح أخرى ، صارت معلمة مثالية ، وبعد الاستقلال واصلت مهنتها الشريفة وكان لها الوزن الثقيل في الأوساط التعليمية ، وأصبحت تشرف على مراقبة وتوجيه المعلمين الجدد ذكورا وإناثا. [1]

وتعتبر شامة بوفجي[2] الزمورية إحدى الرائدات في سلك التعليم أيضا ، وهي من بلدة زمورة شمال شرق مدينة برج بوعريريج ، تخرجت من مدرسة الشبيبة الإسلامية وهي أول مدرسة من مدارس جمعية العلماء المسلمين بالعاصمة ، ومارست مهنة التعليم كذلك في مدارس جمعية العلماء والحركة الوطنية ، وبذلت جهودا محترمة في توعية المرأة وترقيتها وإتاحة الفرصة لها لتصبح عضوا عاملا في المجتمع .

ومارست تعليم المرأة المهن المختلفة كالخياطة والطرز والنسيج الى جانب القراءة والكتابة ورغم أنها من منطقة ريفية إلا أنها وسعت نشاطها في المدن خاصة برج بوعريريج وسطيف وقسنطينة ومدينة الجزائر ووهران وتلمسان شاركت مشاركة فعالة إيجابية [3]، دعت السيدة شامة إلى تأسيس مدرسة لتعليم البنات المسلمات بالقصبة، بالجزائر العاصمة، فكانت أصغر معلمة في تاريخ الجزائر قاطبة.

---

[1] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ... ، مرجع سابق ، ص ص46_47.

[2] – **شامة بوفجي**:ولدت في بلدية بئر قاصدي علي من ولاية (برج بوعريريج) في 13 مارس 1922من عائلة دينية محافظة مصلحة ، تخرجت من مدرسة الشبيبة الاسلامية بالجزائر العاصمة ، ومارست مهنة التعلين كذلك في مدارس جمعية العلماء ، والحركة الوطنية ، بذلت جهودا محترمة في توعية المرأة وترقيتها ، واتاحة الفرصة لها لتصبح عضوا عاملا في المجتمع ، عاشت أحداث الثورة كلها ، وشاركت مشاركة فعالة ايجابية ، وبعد الاستقلال واصلت نشاطها التربوي والثقافي وأدارت مدرسة ابتدائية بمدينة برج بوعريريج ،أنظر : يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ... ، مرجع سابق ، ص ص 49_50.

[3] – نفسه ، ص49.

وتأسست المدرسة فعلا سنة 1934، كأول مدرسة للبنت المسلمة وأشرفت عليها "البنت شامة" وعمرها لم يتجاوز ال12 سنة. وفتحت المدرسة التي كان مقرها منزل والد السيدة شامة، بوفجي امحمد، قسما داخليا للبنات القادمات من ضواحي العاصمة، كالشراقة، القبة وبئر خادم. واستمر هذا النظام لسنوات، والقائم بشؤون إطعام البنات هما والدا شامة، السيد امحمد بوفجي وزوجته برنية شلابي، وبلغ عدد المتمدرسات في أقل من أسبوع فقط من بداية التسجيل 150 تلميذة .

ونتيجة لانتشار حركة التعليم وعجز المدرسة (بيت السيد بوفجي) عن استقبال كل البنات، فكرت شامة في فتح ملحقات لمدرسة "شريفة الأعمال" في بولوغين والشراقة وسيدي امحمد وبئر خادم والقبة والعناصر والسيدة الإفريقية ، وواصلت السيدة شامة مساعيها لتعليم البنت الجزائرية المسلمة (تحت غطاء تعليم القرآن) إلى غاية عام 1952،عندما تفطنت سلطات الاحتلال لهذه المدرسة فأغلقتها ،وفي سبيل تحقيق نهضة المرأة الجزائرية.

لم تبخل السيدة شامة بجهد أو مال، فبغض النظر عن تأسيس "شريفة الأعمال"، راحت ببرج بوعريريج خلال الثورة التحريرية وبعدها تعلّم البنات والنساء في مختلف مجالات العلوم والمعرفة، ولم تعتبر ذلك منفصلا عن تعليم المرأة فنون الطبخ والرقن على الآلة الراقنة والخياطة. حيث فتحت نوادٍ خاصة بذلك، تمولها من مالها الخاص ومال بعض الأثرياء بمدينة البرج، فهذه فرقة مسرحية وتلك مجموعة تتعلم الطبخ وأخرى تسعى لتعلم اللغات الأجنبية.. وغيرها كثير، وكانت تحث على تعليم البنات وتثقيفهن تعليما سليما لا اعوجاج فيه، وكثيرا ما آوت فتيات من خارج مدينة البرج ببيتها لسنوات طويلة، وتحملت عبء تكاليفهن من أجل تحصيل العلم (وهن اليوم أساتذة ومديرات). ولم يكن مبعث ذلك إلا إحساسها بمسؤوليتها تجاه بنات الجزائر، ووفاء بالعهد الذي قطعته على نفسها وعمرها 12 سنة (أتمنى أن أصبح ذات يوم رائدة في مجال نهضة المرأة بالجزائر الحرة [1].

[1] –الموعد اليومي ، **"المجاهدة الثائرة السيدة شامة بوفجي رائدة نهضة المرأة الجزائرية"** ، مقالة كتبت بواسطة الموعد بتاريخ الأربعاء 29 أكتوبر2014 ، سا 15:02 ، تم الإطلاع يوم 9 أفريل 2016 سا 14:47 ، من الموقع التالي :

http://www.elmaouid.com/dossiers/33063-2014-10-29-15-02-33

هذه كانت بعض النماذج أين أضهرت المرأة الجزائرية جدارتها في مجال التربية والتعليم والعمل الإصلاحي ككل ، ولم يقتصر نشاطها على هذا الحد ، فقد توسع نضال المرأة الجزائرية وأصبحت عازمة على نيل حقوقها وبذلت الجهود العديد لتحقيق ذلك الطموح ،والظاهر أن تطور الحياة السياسية في الجزائر بعد ميلاد الجمعيات وتأسيس النوادي والأحزاب السياسية كان له الأثر الواضح على تفعيل نشاط المرأة في الحياة العامة وخصوصا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، وقد أصبحت الضرورة ملحة لدى المرأة المثقفة كي تدخل معترك الحياة السياسية وتطالب بحقوقها المهضومة .[1]

فقد ظهرت بعض الجمعيات النسوية للعمل على ترقية المرأة والنهوض بها ، ومن هذه الجمعيات جمعية نهظة المرأة المسلمة بتلمسان التي ترأستها السيدة فتيحة كاهية ، وهي إحدى تلميذات مدرسة التربية والتعليم وقد نشرت نداء مطولا بجريدة البصائر سرحت فيه أوضاع المرأة ، وانتقدت المتعلمات في المدارس الفرنسية ، ودعت الى التمسك بالقيم الإسلامية وعدم الإغترار بمظاهر الحضارة الغربية التي تعتبر سموما قاتلة .

كما دعت أولياء الأمور الى السماح لبناتهم بالإنضمام الى جمعية نهضة المرأة فذكرت :" ولتطمئن العقول المفكرة لأننا لا نطلب سفورا ، لعلمنا بأنه يؤدي حتما الى ما لا تحمد عقباه خصوصا في الوقت الحاضر ، لذلك أدعوا كل رب عائلة محبذ للمصلحة العامة غيور على شرف الوطن أن يكون مشجعا للحركة النسائية ومؤسسا لها على دعائم متينة تكفل لنا مستقبلا سعيدا وما بلغت أمة أوج المعالي إلا بمشاركة نسائها في نهضتها إذ بهن تتوفر أسباب سعادة المجتمع بتحضير أشبال المستقبل وتربيتهم التربية الصالحة في أكبر مدرسة وهي المنزل." [2]

وإلى جانب جمعية نهظة المرأة المسلمة هناك جمعية النساء المسلمات الجزائريات التي أسسها حزب الشعب الجزائري في شهر جوان 1947م في إطار حزب حركة الانتصار للحريات الديمقراطية [3] ، وقد اهتمت هذه الجمعية بالطفولة المعوزة وقدمت لها الدعم المادي والمعنوي ،

[1] – أحمد مريوش ، مكانة المرأة ... ، مرجع سابق ، ص ص 103_104.

[2] – فتيحة كاهية ، "**نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة** " ، جمعية نهظة المرأة المسلمة مركزها الرئيسي تلمسان ، البصائر ، العدد 20 من السنة الثانية من السلسلة الثانية ، الاثنين 7 ربيع الأول 1367هـ الموافق لـ 19 جانفي 1948 ، ص2.

[3] – أحمد مريوش ، مكانة المرأة ... ، مرجع سابق ، ص ص 103_104.

وكانت تحيي الأعياد الدينية ، وقد حضرت جريدة المنار الى أحدى احتفالات الجمعية وكتبت عنها :" بمناسبة المولد النبوي الشريف أقامت جمعية المسلمات الجزائريات حفلة في قاعة مشيخة البلدة القديمة بالجزائر العاصمة وزعت فيها كسوة وحلويات على 150 طفلا من الأطفال الجزائريين المسلمين المحرومين [1].

ويعود الفضل في ميلاد هذا التنظيم النسوي الى مبادرة بعض الطالبات المثقفات أمثال باية أعراب وفاطمة بن عصمان وسليمة بن الحفاف والسيدة شرشالي والسيدة بومعزة علاوة ونفيسة حمود ومامية شنتوف ومليكة مفتي وغيرهن من المثقفات[2]

[1] – جمعية النساء المسلمات الجزائريات تحتفل بالمولد ،"**جريدة المنار**" مصدر سابق، العدد 49 ، السنة الثالثة ، المرافق لـ 20 نوفمبر 1953 م ، Rue Ravigo _ Alger (د.ص).

[2] –عبد الرحمن بن العقون ، "**الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ، الفترة الثالثة 1954/1947**" ط1 ، [م.و.ك] ، الجزائر 1886م، ج3 ، ص ص 378_379.

لقد كان موضوع " التاريخ الثقافي للمرأة الجزائرية المستعمرة " شيقا للغاية ، وفي الوقت نفسه تخللته مجموعة من الصعوبات ، كونه موضوع متعدد الأطراف ، فمن السياسة الإستعمارية اتجاه المرأة الى العادات الإجتماعية البالية التي حجبت عنها ضوء الشمس ، الى الإنحرافات الطرقية التي استغلت جهلها، وصولا الى المحاولات الإصلاحية الفردية ، ثم المشروع الإصلاحي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فالموضوع حافل بالمواقف والأحداث التاريخية ، ورغم ذلك حاولت جمع ما تيسر لي من معلومات وتصنيفها وطرحها، إلى أن توصلت بعد هذه الجولة التاريخية الى مجموعة من الإستنتاجات لخصتها فيما يلي :

منذ وطأت أقدام المستعمر هذه الأرض بدأت معانات الشعب الجزائري الذي سلبت كل حقوقه ، وقد عاشت المرأة الجزائرية مثلها مثل بقية الشعب الجزائري أوضاعا مزرية وسيئة الى أبعد الحدود ، عانت من خلالها الفقر والمرض والجهل ،وليس هذا فحسب بل ذاقت أشد أنواع العذاب والبطش من المستعمر الغاشم ، ورغم ذلك فقد اثبتت قدرتها على الصبر والتحمل ، بل وأثبتت جدارتها في مقاومة الاستعمار، وقد برزت أسماء عديدة لجزائريات خلدن أسماءهن في تاريخ الجزائر .

ولم يكتفي الإستعمار من سياسته التعسفية إتجاه المرأة بل تعدى ذلك الى استهدافها كوسيلة للغزو الثقافي ، الذي يهدف الى مسخ الهوية الوطنية بمقوماتها الأساسية العروبة والإسلام ، وإحلال الثقافة الأوروبية باعتبارها الثقافة المثلى ، وفي نهاية المطاف يمكنه التوسّع والسيطرة ، ولتحقيق هذا الهدف لجأ الى إستغلال المرأة ، وشرع في وصف أحوالها المزرية ، وإرجاع السبب في ذلك الى تعاليم الإسلام للطعن فيها ، ومن ثم جاءت المحاولات لإنقاضها مما هي فيه ، من خلال سياستي التنصير والتعليم ،لكن أغلب المشاريع في هذا السياق لم تلقى الاستجابة التي كانت تسطر لها ، لأن المرأة الجزائرية ضلت متمسكة بدينها وقوميتها ، إلا أن الجهل الذي كانت تتخبط فيه نتيجة الأعراف البالية التي كانت ترى في تعلمها إحدى الكبائر ، جعلها تتأثر بالأفكار البالية للطرقية المنحرفة ،التي انجرّت عن الفهم الخاطئ للدين الإسلامي

وتشويهه بالأفكار المنحرفة التي ساهم الاستعمار في انتشارها ، وبالرغم من ذلك نجد اهتماما خاصا بالمرأة الجزائرية، من قبل رجال الفكر والثقافة و الاصلاح ، ويظهر ذلك في الكتابات والدعوة لاصلاح أوضاع المرأة باعتبارها عنصرا فاعلا في المجتمع ، وبالرغم من تلك الجهود النبيلة التي إهتمت بالمرأة وتعليمها ، فقد كانت جهودا فردية وجدت صعوبة في تقبل الفكرة لأن المرأة كانت تعيش في وضع مغلق ، بسبب الحصار الاجتماعي الذي فرض عليها .

وما إن اجتمع شمل العلماء تحت راية واحدة وهدف واحد وكلمة واحدة بتأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حتى جعلوا المرأة ضمن أولويات مشروعهم الإصلاحي ، فشرعوا في ترقيتها وتلقينها عناصر التربية والتعليم والمعرفة ، وقد تركت جهودهم الإصلاحية المبذول البصمات البارزة في سجل تاريخ المرأة الجزائرية ونضالها المستميت ، فقد منحت للمرأة الفرصة الكافية حتى تبين قدراتها ومن ثم تتأثر وتؤثر فيما حولها وتساهم في قسط كبير في تكوين الناشئة تكوينا أصيلا يملك من المؤهلات الوطنية الكافية لتجعله محصنا فكريا ودينيا وحضاريا ، وما أكثر عظماء الثورة الجزائرية الذين أنجبتهم المرأة الجزائرية وساهمت في تكوينهم وتربيتهم ، بل وذهبت الى أبعد من ذلك حيث شاركت معهم في ميدان الشرف بغية استرجاع السيادة ، وضحت بالنفيس من أجل حرية هذا الوطن.

الملحق رقم (1) [1] :

(رسالة عبد الحميد بن باديس الى مديرة جمعية دوحة الأدب بدمشق الخاصة بتعليم البنات)

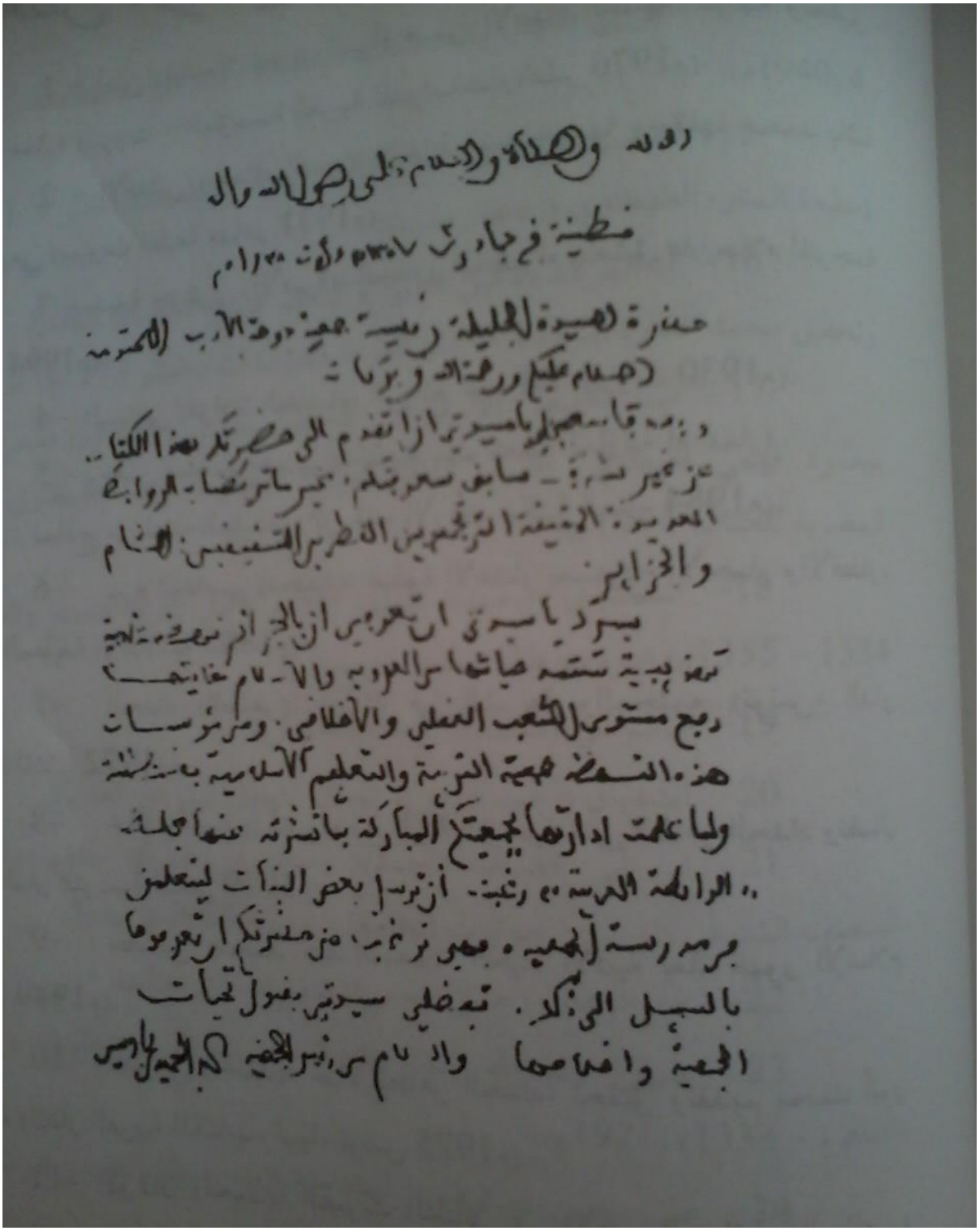

[1] – يحي بوعزيز ، **المرأة الجزائرية وحركة الاصلاح النسوية العربية**، دار الهدى ، الجزائر، 2000 ، ص149.

تابع للملحق رقم (1) [1] :

نص الرسالة بالخط الالكتروني

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله وآله

قسنطينة في 9جمادى الأولى 1357 هـ سنة 1937

حضرة السيدة الجليلة رئيسة جمعية دوحة الأدب المحترمة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد، فاسمحي لي يا سيدتي أن أتقدم إلى حضرتك بهذا الكتاب من غير تشرف سابق بمعرفتكم، غيرما تربطنا به الروابط العديدة المتينة التي تجمع بين القطرين الشقيقين: الشام والجزائر.

يسرك سيدتي أن تعرفي بأن بالجزائر نهضة أدبية تهذيبية تستمدّ حياتها من العروبة والإسلام غايتها رفع مستوى الشعب العقلي و الأخلاقي.

ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية و التعليم بقسنطينة، ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها بمجلة الرابطة العربية، رغبت أن ترسل بعض البنات لتعليمهنّ في مدرسة الجمعية، فهي ترغب من حضرتكم أن تعرفوها بالسّبل إلى ذلك.

تفضلي بقبول تحيات الجمعية وإخلاصها والسّلام من رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس.

[1] – يحي بوعزيز ، المرأة الجزائرية ...المرجع السابق ، ص 29.

الملحق رقم (2) [1]

[1] - أحد أقسام الإناث في مدرسة الهدى بالقنطرة الطبقات 2_3_4 تم الإطلاع يوم:الأحد 3 أفريل 2016 ، سا 10:22 الموقع :

http://www.de-ghardaia.edu.dz/ar/images/ilm2013/bensbadis/image3.jpg

ملحق رقم (3) [1]

شهادة الدراسة الأبتدائية في المدارس العربية الخاصة بجمعية العلماء المسلمين

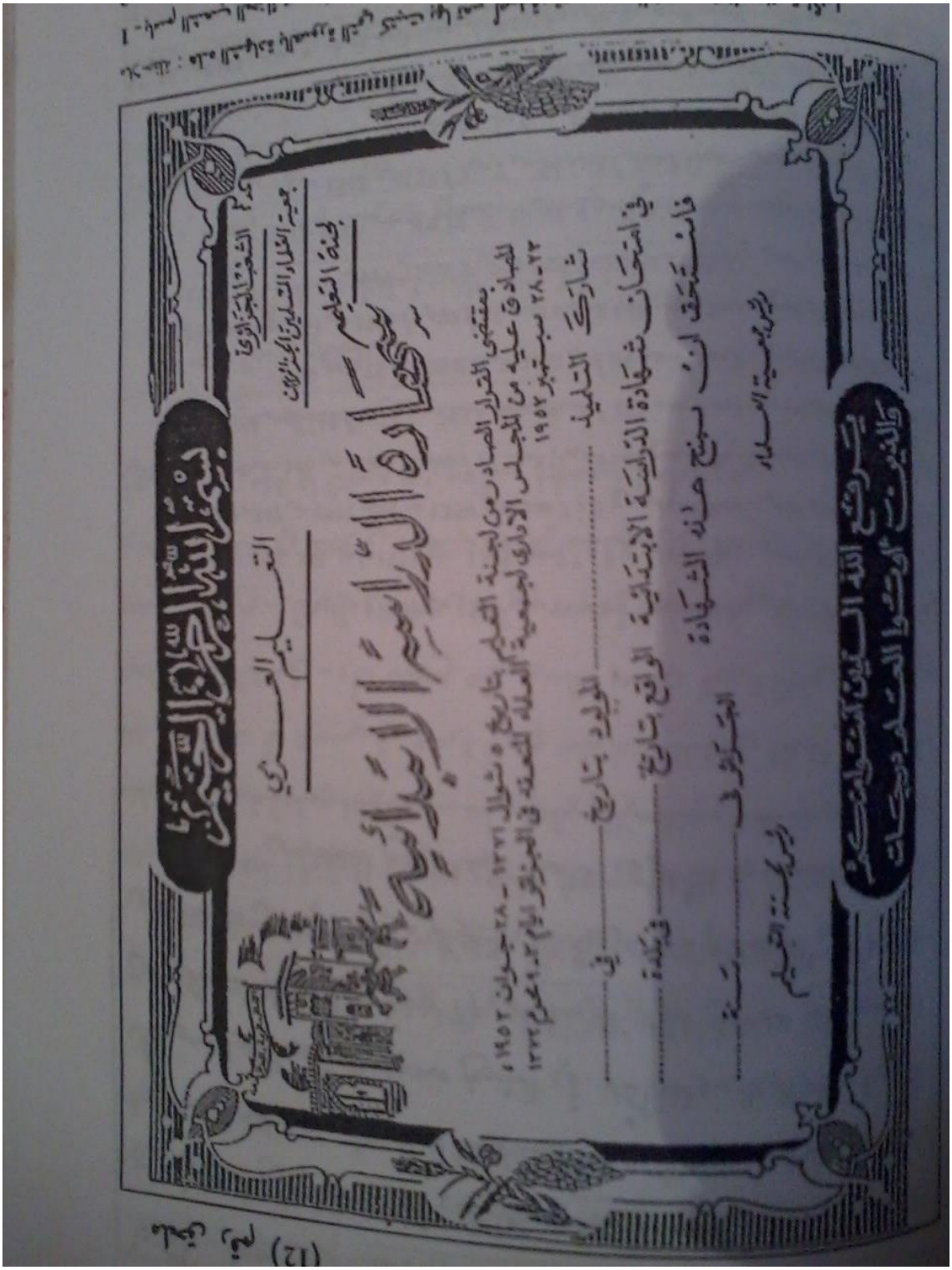

[1] – تركي رابح ، **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورؤساؤها الثلاثة 1956/1931** ، ط1، [موفم] ، الجزائر ،2000 ، ص362 .

_ القرآن الكريم

أولا / المصادر بالغة العربية :

أ / الكتب:

1 _ أجرون شارل روبير ، "**الجزائريون المسلمون وفرنسا 1871/ 1919** "، تر. حاج مسعود بكلي، دار الرائد، الجزائر، 2007 ، ج2.

2 _ الإبراهيمي أحمد طاب ، "**آثار البشير الإبراهيمي**" ، ط1، [د.غ.إ] ، بيروت ، 1997، ج2 ، (1940_1952).

3_الإبراهيمي أحمد طاب ، "**آثار البشير الإبراهيمي**" ، ط1، [د.غ.إ] ، بيروت ، 1997 ، ج4 ، (1952_1954).

4 _ الجيلاني عبد القادر ، "**فتوح الغيب**"، تح:جمال الدين فالح الكيلاني ، ط1، مركز الاعلام العالمي ، بنغلاديش ، 2014 .

5 _ الجزائري محمد بن عبد القادر: "**تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**"، ج.2 ، منشورات ثالة ،الجزائر، 2007.

6 _ الزركلي خير الدين، " **الأعلام** " ، ط.15، دار العلم للملايين ،(د.م)، 2002، ج4.

7 _ الشطنوفي علي بن يوسف ، "**بهجة الأسرار ومعدن الأنوار في مناقب الباز الأشهب الضيخ عبد القادر الكيلاني1165/1077**" تح : جمال الدين فلاح الكيلاني ، ط.2 ، المنظمة المغربية للتربية والثقافة ، المغرب ، 2013 .

8 _ بن الخوجة محمد بن مصطفى ، "**اللباب في أحكام الزينة والإحتجاب**" ، تح :محمد الشايب شريف ، ط1، دار ابن حزم ، بيروت _لبنان ، (د.ت).

9_ بن العقون عبد الرحمن ، "**الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر ، الفترة الثانية 1947/1954**" ط1 ، [م.و.ك] ن الجزائر 1886م.

10 _ خوجة حمدان بن عثمان ، "**المرآة**"، تر: محمد العربي الزبيري ، ANEP، الجزائر، 2005 .

11 _ خير الدين محمد ، "**مذكرات الشيخ محمد خير الدين** " ط2 ، مؤسسة الضحى ، الجزائر ، 2002.

12_ طالبي عمار ، "**آثار بن باديس** " ، ط3 ، [ش.و.ط.ن] ،الجزائر ، مج1 .

13_ طالبي عمار ، "**آثار بن باديس** " ، ط3 ، [ش.و.ط.ن] ،الجزائر ، ج2، مج1 .

14_ طالبي عمار ، "**آثار بن باديس** " ، ط3 ، [ش.و.ط.ن] ،الجزائر ، ج1، مج2.

15_ طالبي عمار ، "**آثار بن باديس** " ، ط3 ، [ش.و.ط.ن] ،الجزائر ، ج2، مج2

16 _ عباس فرحات ، "**حرب الجزائر وثورتها ليل الاستعمار**"، تر.أبو بكر رحال، ANEP ، الجزائر، 2005.

17 _ المدني أحمد توفيق ، "**حياة كفاح**" ، عالم المعرفة ، الجزائر، 2010 ، مج.2.

18 _ الميلي مبارك بن محمد ، "**رسالة الشرك ومضاهره**" ، تح وتعليق: أبي عبد الرحمن محمود ، ط1 ،دار الراية ، المملكة العربية السعودية ، 2001.

ب / الجرائد والمجلات:

1 _ أحمد فضيلة ، "**حق المرأة الجزائرية في النهضة**"، جريدة المنار، جريدة سياسية ثقافية دينية حرة ، المدير المسؤول : محمود بوزوزو ، العدد 46 ، السنة الثالثة ، المرافق لـ 24 جويلية 1953 م ، والعدد 49 ، السنة الثالثة ، المرافق لـ 20 نوفمبر 1953 م ، _ Rue Ravigo Alger

2 _ بن ذياب ليلى ، "**تعليم المرأة** " ، جريدة البصائر ، مصدر سابق ، ع93، السنة الثالثة من السلسلة الثانية ، يوم الإثنين 9 محرم 1369هـ ، الموافق لـ 31 أكتوبر 1949م .

3 – العقبي الطيب، "**أجوبة حكيمة**" ، "**مجلة الشهاب**" ،ج5 ، مج11 ، جمادى الأولى 1354هـ الموافق لـ 1935م .

4 _كاهية فتيحة ، "**نداء في سبيل نهضة المرأة المسلمة** " ، جمعية نهظة المرأة المسلمة مركزها الرئيسي تلمسان ، البصائر ، العدد 20 من السنة الثانية من السلسلة الثانية ، الاثنين 7ربيع الأول 1367هـ الموافق لـ 19 جانفي 1948.

5 _ "**مجلة الشهاب**" ، جمعية التربية والتعليم ، ج2 ، مج7 ،غرة شوال 1349 ، الموافق ل مارس 1931.

6 _ "**مجلة الشهاب**" ، دعوة جمعية العلماء المسلمين وأصولها ، مجلة إسلامية شهرية لمنشئها الشيخ عبد الحميد بن باديس، المطبعة الجزائرية الإسلامية ، قسنطينة ،ج4 ،مج13 ،11 جوان 1937

7 _ "**مجلة الشهاب**" ، الرجل المسلم الجزائري ، مج5 ، ج10 ،جمادى الثاني 1348هـ ، الموافق لـ 10 نوفمبر 1929م.

8_ مبارك الميلي ، "**تعليم المرأة الكتابة**" ، "مجلة الشهاب" ، ج6 ، مج12 ، جمادى الأولى وجمادى الثانية 1355هـ الموافق لـ أوت 1936.

9 _ الميلي مبارك بن محمد ، "**الصوفية ومراتب العبادة** " مجلة الشهاب ، ج2 ، مج9 ، غرة شوال 1351هـ الموافق لـفيفري 1933م

10_ (ز.هـ.ر) بنت سيدي عيسى ، "**المرأة الجزائرية الحديثة والكتابة**" ، جريدة البصائر ، جريدة أسبوعية ع139، 18 رمضان 1357هـ ، الموافق لـ 11 نوفمبر 1938م.

ثانيا / المراجع:

أ / الكتب :

1 _ إبراهيم عبد الله عبد الرزاق ، "**الطرق الصوفية في القارة الإفريقية " ط1** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع – القاهرة ، 2004 .

2 _ أبو لحية نور الدين ، "**جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما**" ، ط1 ، دار علي بن زيد ، بسكرة _الجزائر ، 2015.

3 _ برنيان أندري وآخرون ، "**الجزائر بين الماضي والحاضر**" ، تر: اسطنبولي رابح ، منصف عاشور، [د. م .ج] ، الجزائر، 1984.

4_ بقطاش خديجة ،" **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر1830/1871** " ،منشورات دحلب ،الجزائر ،2007.

5_ بلاسى نبيل أحمد ، "**الإتجاه العربي والاسلامي ودوره في تحرير الجزائر**" ، [هـ.م.ع.ك] ، (د.م) ، 1990.

6_ بن رحال الزبير ،"**الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية**"، دار الهدى، عين مليلة، 2009.

7 _ بوحوش عمار ، "**التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**" ، ط1 ، [د.غ.إ] ، (د.م) ، 1997.

8 _ بوصفصاف عبد الكريم ، "**الفكر العربي الحديث والمعاصر _ محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجًا**"، ج. 2، دار الهدى، الجزائر،. 2005.

9_ بوعزيز يحي ،"**المرأة الجزائرية وحركة الإصلاح النسوية العربية**"، دار الهدى، الجزائر، 2000 .

10_ بوعزيز يحي ، "**سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية 1830 / 1954**" ، [د.م.ج] ، (د.م) ، (د.ت) .

11 _ توران ايفون ، "**المواجهات الثقافية في الجزائر المستعمرة ، المدارس والمؤسسات الطبية والدين 1880/1830**" ، تر: محمد عبد الكريم بوزغلة ، دار القصبة ، الجزائر ،2005.

12 _ الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، "**تاريخ الجزائر العام**" ، ج4 ، [د. م .ج] ، الجزائر ، دار الثقافة ، بيروت ، 1982.

13 _ حباسي شاوش ، "**من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1962/1830**" ، دار هومة ، الجزائر (د.ت) .

14_ حلوش عبد القادر: "**سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر**"، دار الأمة، الجزائر، 2010.

15 _ رابح تركي ، "**التعليم القومي والشخصية الوطنية1956/1931**"،[ش.و.ن.ت]، الجزائر ، 1975.

16_ تركي رابح ،" **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورؤساؤها الثلاثة(1956/1931)** " ، ط1 ، [موفم] ، الجزائر ، 2009 .

17_ رابح تركي ، "**الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الاسلامي والتربية في الجزائر** " ، [م.و.ك] ،الجزائر ، ط.5 ، 2001.

18_ الزبيري العربي ، "**تاريخ الجزائر المعاصر**" ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، (د.م) ، 1999، ج1.

19 _ سعد الله أبو القاسم ، **تاريخ الجزائر الثقافي**،1954/1830 ، ط 1 ،[د. غ.إ]، الجزائر، 1998 ج3، ج4، ج5،ج6 ، ج7.

20 _ سعد الله ابو القاسم ، "**الحركة الوطنية الجزائرية 1900/1830**"، ط1، [د. غ.إ] ، بيروت ، 1992، ج1.

21 _ صاري جيلالي ، "**بروز النخبة المثقفة الجزائرية (1950/1850)**" ، تر: عمر المعراجي ، منشورات ANEP ، الجزائر 2007.

22 _ فراد محمد ارزقي ، "**جزائريات صنعن التاريخ**" ، دار الأمل ، (د.م)، 2006.

23 _ محمد مراد بركات ، "**الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي**" دار النشر الالكتروني ، (د.م) ، (د.ت) .

24 _ المدني أحمد توفيق ، "**كتاب الجزائر**" ، المطبعة العربية (د.م) ، (د.ت) .

25_ المدني أحمد توفيق ، "**هذه هي الجزائر**" ، [م.ن.م] ، القاهرة ، (د.ت).

26 _ مراد علي ،"**الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1940/1925**" : بحث في التاريخ الديني والاجتماعي، تر. محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.

27 _ مريوش أحمد ، "**دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر**" ، ط1 ، كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2013.

28 _ مطبقاني مازن صالح ،"**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1939/1931**"، دار الأفكار ، الجزائر ، 2011.

29 _ مطبقاني مازن صالح ،"**عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي**"،ط2 ، دار القلم ، دمشق ، 1999.

30 _ وعلي محمد الطاهر: "**التعليم التبشيري في الجزائر من 1830 إلى 1904**"،منشورات دحلب،الجزائر،2009.

31_ يحياوي مسعودة وآخرون ، دور المرأة في الثورة التحريرية ، [م.و.ب.ح.ث]،(د.م)، 2007 .

ب/ الجرائد والمجلات :

1 _ بشي يمينة ، "**مآثر المرأة الجزائرية خلال قرن من الاحتلال**"، مجلة المصادر، ع3 ، [م.و.ب.ح.ث] ، دار الحكمة، الجزائر ، 2000.

2 _ التميمي عبد الجليل ،"**التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن التاسع عشر**"،"المجلة التاريخية المغربية للعهد الحديث والمعاصر"،ع1،[م.ب.إج.إق]، تونس ، جانفي 1974.

3 _ جريدة 'الشروق اليومية' ، الشيخ عبد اللطيف سلطاني،"رحلة السجون والإقامة الجبرية في جزائر الإستقلال" ، سلسلة حلقات حول مذكرات عبد اللطيف سلطاني من العدد 3372 الإثنين 1 أوت 2011، الموافق لـ1رمضان1432،الى العدد 3382، الجميس11 أوت 2011 الموافق لـ 11 رمضان 1432.

4 _ لونيسي رابح:"**العلاقة الجدلية بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية في العهد الاستعماري وانعكاساتها**"، دورية كان التاريخية، ، دار ناشري ، الكويت ، السنة الخامسة ، ع.15، مارس 2012 .

5 _ ميسوم بلقاسم ، "**سياسة فرنسا الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر خلال الفترة 1930/1954**"، مجلة علوم الانسان والمجتمع ، ع6،جامعة بسكرة ، الجزائر ، جوان 2013، ص 57 .

ج / معاجم الأعلام والمصطلحات :

1 _ الحنفي عبد المنعم ، "**معجم المصطلحات الصوفية**" ، ط.2 ، دار المسيرة ، بيروت ، 1987.

2 _ صديق محمد الصالح ،"**شخصيات ومواقف**" [م.و.ك] ، الجزائر ، 1992 .

3 _ نويهض عادل ، **"معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر "** ، ط2 ، مؤسسة نويهض الثقافية ، بيروت _لبنان ، 1980.

د / الملتقيات العلمية :

1 _ بن عدة عبد المجيد ، **"دعوة عبد القادر المجاوي الى نهضة أصيلة وعصرية"** ،أعمال الملتقى الوطني بتلمسان حول الشيخ عبد القادر المجاوي ، أيام 27_28 نوفمبر 2011 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف

2 _ كواتي مسعود ، **"المرأة الجزائرية والاستعمار الفرنسي في القرن التاسع عشر "** ،الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة الجزائرية ، إعداد: [م.و.ب.ح.ث] ،ط2 ، دار هومة،2007.

3_ مريوش أحمد ، **"مكانة المرأة في التراث الجزائري ما بين 1900/1954"** ،الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة الجزائرية ، ط2 ، [م.و.ب.ح.ث] ،دار هومة، 2007 .

هـ / المذكرات :

1_ بن علي زهير ، **"قضايا المرأة ضمن إهتمامات الحركة الإصلاحية الجزائرية(1925/1954)"** ،مذكرة ماجستير ، إش: سليمان قريري، كلية العلقم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2015

2 _ بوقرة زيلوخة ،**"سوسولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين _نموذجا_"**مذكرة ماجستير في علم الاجتماع الديني ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2009.

3 _ سليمان قريري ، **"تطور الإتجاه الثوري والوحدوي في الحركة الوطنية الجزائرية 1940/1954"** ، مذكرة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، إش: مناصرية يوسف ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الحاج لخضر ، باتنة ، 2011.

4 _ الغالي بن لباد ،**"الزرايا في الغرب الجزائري التيجانية والعلوية والقادرية"** ،رسالة دكتوراء في الأنثروبولوجيا ، جامعة أبة بكر بلقايد ، كلية الآداب والعلوم الانسانية والاجتماعية ، قسم الثقافة الشعبية ، 2009

5 _ قريشي محمد ،" **الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلا ع الثورة التحريرية الكبرى 1945. 1954**" ، مذكرة ماجستير، إش : بن سلطان عمار، جامعة الجزائر، 2002 ، ص 82 .

6 _ كعوان فارس ، **"المؤرخون الجزائريون ونمو الوعي التاريخي 1830/ 1962"** ، اطروحة دكتوراه علوم في التاريخ المعاصر ، اش: عبد الكريم بوصفصاف ، قسم التاريخ والآثار ، جامعة منتوري قسنطينة ، 2012.

7 _ مريوش أحمد ، **"الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954"** ، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر ، إش: ناصر الدين سعيدوني ، جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، 2006.

8 _ نبيل نوار خرخاشي ، **" العلاقة بين جمعية العلماء والطرق الصوفية1925/1954"** مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر ، إش: العماري الطيب ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، 2013 ، ص 28.

ي / البرامج الوثائقية :

1_ الفلم الوثائقي "كاليدونيا مظلمة النفي " اخراج عبد القادر سالم ،تصوير محمد صحراوي وآخرون ، قناة الجزيرة الوثائقية ، ارشيف التلفزة الجزائرية ، المنتج المنفذ ALHAKAIK الجزائر (د.ت) .تمت المشاهدة من الموقع التالي :
https://www.youtube.com/watch?v=rxQ1-q5CF7M

ي/ المواقع الإلكترونية :

1 _ نايلي وحيد سليم ، **"السر وراء تسمية مقبرة العالية بهذا الاسم"** فكرة مقتبسة من أعلام الفكر والدين والثقافة في الجزائر ، مجلة سيدي عيسى الالكترونية ، إنجاز وتصميم شركة الراشدية ، نشر في الموقع بتاريخ الثلاثاء 18 محرم 1436هـ الموافق لـ :11 نوفمبر 2014 ، تاريخ الاطلاع : الخميس 18 فبراير 2016 م ، سا19:57، الموقع :

http://www.sidi-aissa.com/ar/?p

2_ أحد أقسام الإناث في مدرسة الهدى بالقنطرة الطبقات 2_3_4 الموقع : تم الإطلاع يوم:الأحد 3 أفريل 2016 ، سا 10:22

http://www.de-ghardaia.edu.dz/ar/images/ilm2013/bensbadis/image3.jpg

3_ عويمر مولود ، "**نساء في رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائرية** "، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس ، تم الإطلاع يوم السبت 9 أفريل 2016 سا: 11:58

http://www.binbadis.net/research-and-studies/aoma-studies-and-research/item/1516-aoma.html

4_ الموعد اليومي ، "**المجاهدة الثائرة السيدة شامي بوفجي رائدة نهظة المرأة الجزائرية**" ، مقالة كتبت بواسطة الموعد بتاريخ الأربعاء 29 أكتوبر2014 ، سا 15:02 ، تم الإطلاع يوم 9 أفريل 2016 سا 14:47 ، من الموقع التالي :

http://www.elmaouid.com/dossiers/33063-2014-10-29-15-02-33

المصادر الأجنبية

1_ Rinn Louis : **Marabouts et khouans**: **étude sur l'islam en Algérie**, Adolphe Jourdan Libraire-éditeur , Alger,1884.

الملتقيات باللغة الأجنبية :

1 – Kitouni-Dahmani Naïma , **Femmes dans la tourmente coloniale** ", confluences méditerranée, n°19, 1996.